عبد المنعم المحجوب

رحلة حنُّون

الطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل

رحلة حنُّون

الطواف حول الأرجاء الليبية وراء أعمدة هرقل

تأليف
عبد المنعم المحجوب

هنـــداوي

رحلة حنُّون

عبد المنعم المحجوب

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٥٨٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠١٢.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور عبد المنعم المحجوب.

المحتويات

مختصرات	٩
تمهيد	١١
١- قرطاج والرحلة الليبوفينيقية	١٥
٢- حنون الملك البحَّار	٢١
٣- النص الفينيقي المفقود	٣١
٤- الرحلة ... من قرطاج إلى قرن الجنوب	٣٧
٥- الطواف حول أرجاء ليبيا	٤٧
معجم البلدان الليبوفينيقية	٥٣
مسرَد تاريخي	٦٥
مراجع ومصادر	٦٩

«أبحرنا على عجل،
وبمرور أربعة أيام
اكتشفنا في الليل أرضًا تنتشر فيها النيران،
كانت نارٌ في وسطها أكثر علوًّا وأكبر
بدت كأنها تلامس النجوم.
كانت هضبة كبيرة تُدعى عربة الآلهة.»

حنون

«لقد جعل حنون القرطاجيين ليبيين بدلًا من كونهم صوريين.»

كريسوستوم

«بُولِكْليتوس القوريني ترجم نقش حنون إلى اللغة اليونانية، في زمن ولادة الإسكندر الأكبر في مقدونيا.»

إيفاغريوس

مختصرات

تاريخ: تاريخ أفريقيا، جوزيف كي-زيربو (٢٠٠١م).

تانيت: معجم تانيت، عبد المنعم المحجوب (٢٠١٣م).

س: ترجمة النسخة اليونانية التي اعتمدها سيمونيدس.

شذرات: The Ancient Fragments لـ إ. كوري (١٨٢٨م).

طواف: The Periplus of Hannon لكونستانتينوس سيمونيدس (١٨٦٤م).

ك: ترجمة النسخة اليونانية التي اعتمدها كوري.

معجم: معجم الحضارات السامية، هنري عبودي (١٩٩١م).

تمهيد

اعتمدنا في هذه الترجمة على نسختين:

- الأولى هي المنشورة في لندن عام ١٨٢٨م ضمن كناش جمعه إ. كوري I. P. Cory[١] بعنوان: «الشذرات العتيقة» The Ancient Fragments، ويضم إلى جانب رحلة حنون عددًا مما يسميه «بقايا الكتابات التاريخية» لمانيثو وبروسوس (الكاهن الكلداني برعوشا)، وغيرهما، كالعقيدة الهرمسية، والأثبات التاريخية القديمة، والحوليات الصورية، وتعاليم زرادشت. وقد اعتمد كوري النسخة التي كان فالكونر[٢] قد اعتمدها قبله، مع اعتماد ترجمتها. وعن كوري قمت بترجمة نص الرحلة.
- الثانية نشرها كونستانتينوس سيمونيدس Konstantinos Simonides[٣] في لندن عام ١٨٦٤م بعنوان: «طواف حنون ملك القرطاجيين، حول الأرجاء الليبية من الأرض وراء أعمدة هرقل، وهو الذي كرسها للإله كرونوس، الإله الأعظم، ولجميع

---

[١] إسحاق برستون كوري Isaac Preston Cory باحث بريطاني في الآثار والكتابات القديمة، ولد عام ١٨٠٢م، وتوفي ١٨٤٢م. و«الشذرات العتيقة» أشهر مؤلفاته.

[٢] صدر كتاب توماس فالكونر Thomas Falconer في لندن عام ١٧٩٧م، وهو يتضمن ترجمة حرفية للنص اليوناني، مزودًا بخرائط ورسوم، وعنوانه: The Voyage of Hanno, translated and accompanied with the Greek text; explained from the accounts of modern travellers; defended against the objections of Mr. Dodwell and other writers, and illustrated by maps.

[٣] مؤلف ومحقق مخطوطات قديمة، ولد في اليونان عام ١٨٢٠م، وتوفي في مصر ١٨٩٠م. زوَّر عدة مخطوطات وادَّعى أنها نُسخ هلينية وبيزنطية أصلية.

الآلهة المعبودة معه.»[٤] وقد اقتصرت من نسخته على تذييل نص الرحلة الخاص بملوك قرطاج، والنُّساخ اليونانيين.

لقد نشر سغموند غيلينيوس Sigmund Gelenius[٥] في بازل Basel عام ١٥٣٣م نص مخطوط الرحلة، ولم يتوقف نشر نص الرحلة منذ ذلك الوقت في عدة مدن أوروبية، فقد أشار ولفرد شوف في تقديم كتابه إلى ترجمة كونارد جسنر Conard Gesner، التي صدرت في زيورخ عام ١٦٠٩م. وقد ضُمنت هذه الترجمة في مخطوطات هدسون الجغرافية، وصدرت في أكسفورد ١٦٩٨م. وكذلك رحلة حنون (باللغتين اليونانية واللاتينية)، من ترجمة لاك مويلر Lac Mueller، وصدرت عام ١٦٦١م. ثم صدرت في ليدن بترجمة من أبراهام بركليوس Abraham Berkelius عام ١٦٧٤م. كما نُشرت الرحلة ضمن كتاب حول جمهورية قرطاج ألَّفه بيدرو رودرغز كامبومانس Pedro Rodriguez Campomanes، صدر في مدريد عام ١٧٥٦م. ونشرت أيضًا باللغة الألمانية مع ملاحظات وتعليقات من كونارد أرنولد شميدت Conrad Arnold Schmidt عام ١٧٦٤م. وضُمنت في: الرحالة الإغريق، من تأليف لوك هولستينوس Luke Holstenius، كما صدرت في روما عام ١٨١٩م. وصدرت في طبعة أخرى من كتاب هدسون حول الجغرافيا اليونانية في باريس عام ١٨٢٩م، وعام ١٨٥٣م.

إن معظم الترجمات التي عرضت سابقًا بمختلف اللغات نُقلت عن أصل مجهول التاريخ، ومن الثابت الآن أن النص المعروف باسم النسخة البيزنطية يُعد من أقدم الأصول المنقولة عن الأصل القرطاجي المخطوط، وهي معنونة بـ Codex Heidelbergensis 398، ومحفوظة في المكتبة الجامعية بمدينة هيدلبرغ. أما الاعتقاد بأنها تعود إلى القرن التاسع ق.م. (مع أقوال بأنها تعود إلى القرن العاشر ق.م.)، فهو محض افتراض خاطئ، لأن هذا الزمن أقدم بكثير من زمن الرحلة المرجح.

---

[٤] The Periplus of Hannon, King of the Karchedonians, Concerning the Libyan Parts of the Earth, Beyond the Pillars of Herakles, Which He Dedicated to Kronos, the Greatest God, and to All the Gods Dwelling with Him.

[٥] مترجم ومدقق يوناني ولد عام ١٤٩٧م، وتوفي ١٥٥٤م. نشر الطبعة الأولى لمخطوط الطواف حول البحر الإريتيري.

إنه ليسعدني تقديم هذه الرحلة إلى قراء العربية في كل مكان لإعادة استظهار جانب تكاد تفاصيله تكون مجهولةً في ثقافتنا التاريخية العامة، وهو جانب صغير، ولكنه ليس عابرًا، من جوانب الحضارة الليبوفينيقية القرطاجية التي ربما يعرف عنها الكثيرون من الخرافات والأساطير أكثر مما يعرفون من الوقائع المثبتة تاريخيًّا.

كان بي ميْل أثناء جمْع مادة «الكتاب الأرجواني»[٦] وإعداده للنشر عام ٢٠٠٨م أن أضيف إليه ما يتصل برحلة حنون، فصلًا من فصوله المتنوعة، وهي تأملات وتعليقات حول تاريخ قرطاج الثقافي، إلا أن اختلاف مادة هذا الفصل حال دون ذلك، وارتأيت أن أنشره منفصلًا علَّه يؤتي مبتغاه المرجو.

إشارةٌ أختم بها هذه التنبيهات، وهي أن كلمة «ليبيا» في زمن رحلة حنون كانت تُطلق على كامل قارة أفريقيا، ولم تُعرف ليبيا الحالية بحدودها الجغرافية إلا بعد الاحتلال الإيطالي لها عام ١٩١١م والذي انتهى مع نهاية الحرب العالمية الثانية، فهي — غير ذلك — لم تكن تُعرف إلا بأسماء أقاليمها الثلاثة: طرابلس وبرقة وفزان، وكان اسم طرابلس في الغالب الأعم علمًا عليها جميعًا.

[٦] صدر الكتاب الأرجواني عام ٢٠٠٩م عن دار الفارابي ببيروت.

الفصل الأول

قرطاج والرحلة الليبوفينيقية

لعلنا لا نعرف الآن سوى القليل النادر الذي حفظته لنا كتابات المؤرخين الأوائل من إغريق ورومان عن الرحلات التي قام بها المغامرون الليبوفينيقيون القرطاجيون، لكن انطلاقها كان حدثًا عامًّا يُحتفل به، وكان يتم برعاية وتمويل ملوك وأمراء قرطاج (ثم الأسباط ومجلس الشيوخ فيما بعد)، وتُرتجى فيه الآلهة لتوفيق المسافرين وهم يخوضون غمار الآفاق المجهولة.

إننا في الحقيقة لا نعثر على مدونات قرطاجية تحفظ تاريخ هذه الرحلات ووقائعها، فالمدونات الفينيقية مطلقًا قد ضاعت بضياع وتلف ورق البردي الذي اعتمده الفينيقيون في تدوين وقائعهم، وكانوا قد اختاروه لسهولة حفظه وحمله، وتركوا النقش على الحجر أو الرقن على الطين، أو غير ذلك من الوسائط.

من هذه الرحلات التي تركت أثرًا كبيرًا على الحياة العامة لمدينة قرطاج رحلات ماغون التي رافق فيها تجار الغرمنت إلى الصحراء الكبرى وما يليها، ورحلة هِملكون إلى السواحل الأوروبية الغربية، ونصوصها مجهولة حتى الآن، ورحلة حنون إلى السواحل الأفريقية الغربية، وهي أشهر هذه الرحلات.

تأسست قرطاج في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد (٧٥٠ق.م.)، ومن السائد أن يقول المؤرخون إنها تأسست تحديدًا عام ٨١٤ق.م. لكن هذا التاريخ المأخوذ عن المؤرخ تيمايوس الصقلي لا يدل على تأسيس المدينة، وإن تم اعتماده تأريخًا حينيًّا لظهورها في حوض المتوسط، وتسهيلًا لفهم حَدَث نشأتها، لأن نشأة المدينة وتأسيسها قد تم ببطء وعلى مدى عقود طويلة بعد هذا التاريخ حسب الأدلة الأثرية التي تعود بدايتها إلى عام ٧٥٠ق.م. وهو ما يتوافق مع تاريخ أقدم اللقى الفينيقية في قرطاج إبان نشأتها محطةً أو وكالةً تجارية كان الفينيقيون يأتونها في مواسم محددة من السنة للاتجار والمقايضة مع

الأهالي، فكان رسو سفنهم القادمة من صور سوقًا (إمبوريوم) عامة يلتقي فيها الطرفان فيعرضون ويقايضون، أو يبيعون ويشترون، ثم توسعت تدريجيًّا، وشهدت قدوم عدة هجرات جماعية توطنتها وأسستها قريةً جمعت بين المهاجرين الفينيقيين والأهالي الليبيين (سكان شمال أفريقيا، أسلاف الأمازيغ الحاليين الذين تتعدد الآراء حول هجرتهم من الشرق، وهو ما تؤكده الصلة الوثيقة للغتهم باللغات الأفروآسيوية — العاربة أو العربية القديمة — كما تنبئ بها الدلائل الأثرية واللقى التاريخية). وقد غدت قرطاج بعد ذلك وطنًا بديلًا عن سواحل شرق المتوسط، فكان أن ظهر اسمها المعروف أي: قَرْتْ حَدَشْتْ Qart Hadasht (القرية الحديثة)، ثم انتقل إلى اللاتينية كرتاغو Carthago، ثم أظهره العرب بصيغة قرطاج Carthage وقرطاجة التي عُرفت بها.

ووفقًا للتاريخ المذكور (أي ٧٥٠ق.م.) بإمكاننا القول إن قرطاج وروما قد نشأتا في الزمن نفسه، وإن اختلفت أسباب كل مدينة وأساليبها ومساراتها عن الأخرى، كما بإمكاننا القول إن المدينتين عانتا بادئ الأمر من سيطرة أثينا التي تضاءل دورها تدريجيًّا أمام روما، مثلما أن روما وأثينا معًا قد عانتا بدورهما من تحالف الأتروريين (الأتروسكيين)[١] مع قرطاج التي وظفت هذا التحالف في القضاء على هميرا Himere[٢] (شمال صقلية) وتدميرها، ثم إعادة بناء مدينة أخرى تقوم بدورها الاقتصادي المهم في منطقة البحر

[١] سكان أتروريا (توسكانا الإيطالية وما يحيط بها على البحر التيراني). تعرف بأتروسكيا، وأطلق عليهم اليونانيون اسم تيرينيوي، وسمى الأتروريون أنفسهم راسينا. وكانت أتروريا تنافس الإغريق وتبزهم، معتمدةً على الزراعة والتجارة والتعدين وصياغة الذهب والفضة. ولا تنتمي اللغة الأتورية — كما خلفتها النقوش واللقى الأثرية — إلى اللغات الهندوأوروبية، كما أن أصل الشعب الأتروري ما زال مدار جدل كبير بين المتخصصين، ومن المأثور عن هيرودوت أنه يعود بأصولهم إلى آسيا الصغرى التي قدموا منها في القرن الخامس ق.م. ويبرز في مجال الدراسات الأتورية رأي وجيه يثبت أصولهم الشرقية، كما يعود بكلماتهم إلى مقاربة أفروآسيوية. وتذهب بعض القراءات إلى أن أول حكام روما كان ملكًا أتوريًّا، قبل أن تستقل وتبدأ مسارها الخاص المنفصل، وهو المعروف في الدراسات التاريخية بالكلمة اللاتينية Fatum أو الفطام. وقد يكون آخر الملوك الأتروريين قد أزيح في نهاية القرن السادس ق.م. ونميل إلى أن التاريخ المعطى لتأسيس روما (أي ٧٥٠ق.م.) ليس سوى تاريخ انتهاء سيطرة الأترورريين على المدينة التي نشأت على أيديهم، وبداية سيطرة الرومان. (تانيت – أتروريا)

[٢] Himere مدينة أسسها الإغريق سنة ٦٤٨ق.م. على مصب نهر هميرا على ساحل البحر التيراني شمال صقلية. حاول القرطاجيون احتلالها سنة ٤٨٠ق.م. لكنهم لم ينجحوا، ثم أعادوا الكرة في ٤٠٩ق.م. بقيادة حنبعل غزغو (قزقو) فدمروا المدينة تمامًا، وأسسوا مدينة جديدة بالقرب منها. (تانيت – هميرا)

المتوسط، إلى أن اشتد كيان روما وقوي على حساب جيرانها فأصبحت إمبراطورية منيعة تبسط نفوذها على أمم البحر المتوسط، وتخضع لها مدنه وممالكه القريبة والبعيدة، وعلى رأسها قرطاج.

أما استقلال قرطاج عن صور فقد تم تدرُّجًا بازدياد عدد سكانها ودورها الاقتصادي في البحر المتوسط وإنشائها علاقات ودية تغلب عليها المقايضة مع جيرانها، إلى أن تمكنت عائلة ماغون Magon الثرية من انتزاع سيادة المدينة بالسيطرة على اقتصادها وتأسيس جيش من القرطاجيين والليبيين والنوميديين الذين انضم إليهم بعد ذلك عدد آخر من المرتزقة الإغريق، وكانت الخطوة الأولى التي أقدمت عليها قرطاج المستقلة، حتى أصبحت هدفًا أول في سياستها الأفريقية، هي توثيق صلتها بالأقاليم المجاورة، لتأمين حدودها، من برقة شرقًا إلى الأطلسي غربًا، ولاستغلال هذه الأقاليم بالتوسع في زراعة الحبوب والكروم والتين والزيتون والرمان (الذي أطلق عليه الرومان اسم التفاح الفينيقي)، أما هدفها الثاني الذي يتوافق مع حصافتها في إدارة مصادر الثراء وتنظيم الزراعة فكان الالتفات إلى بناء أسطول بحري قوي يؤهلها لممارسة الدور الإمبراطوري الذي جعلها تقيم محطاتها التجارية ومستوطناتها الدائمة على سواحل المتوسط، وضمنها سواحل البحر التيراني، أي في عقر دار الرومان أنفسهم، ما جعلها بالمقابل تصبح عدو روما الأول.

لقد نشأت حول تأسيس قرطاج أساطير عديدة تنسبها الأشهر منها إلى عليسة (أليسار أو ديدون كما تسميها الإنيازة)، وتنسب اختيار موقعها إلى حكاية جلد الثور الذي قايضت به عليسة الملكَ الليبي حيارباس[٣] ما كان لديها من حلي وبضائع مقابل قطعة من الأرض تقيم عليها، وترتكز هذه الحكاية بالطبع على معنى بيرصا، أي: جلد الثور.

وإذا كانت حكاية فرار عليسة من أخيها بغماليون (٨٢١–٧٧٤ق.م.) ملك صور صحيحةً، فإن ذلك يعني أنها قدمت إلى ساحل تونس لتؤسس مملكةً جديدة لا رابط لها بالمملكة الأم (صور)، بل إنه من المنطقي تمامًا هنا افتراض العداء بين المملكتين، أو عدم نشوء أي علاقة بينهما مطلقًا، وهو ما يتناقض مع ما يذكره التاريخ من أن «قرت

[٣] حيارباس، هيارباس Hiarbas (يُكتب أيضًا حيرباص) ويروى أنه وقع في حب عليسة وأراد أن يتزوجها، وعندما رفضته، هدد بالقضاء على المهاجرين فأقدمت على الانتحار بإلقاء نفسها في محرقة، وقد قدسها القرطاجيون ببناء نصب لها قرب الميناء ظل موجودًا إلى أن هدم الرومان قرطاج في ١٤٦ق.م. (تانيت – هيارباس).

حدشت» واصلت تقديم الهبات وتكريس التقدمات المخصصة لمعبد ملقرت في صور، وقد كان زوجها (خالها الذي قتله بغماليون حسب الرواية التقليدية) كاهنًا من كهنة ملقرت هذا، ولا نجد ذكرًا لانقطاع هذه التقدمات أو توقفها إلى أن أتى الغزو المقدوني على صور (عام ٣٣٢ق.م.) وهو ما يشي بأنه لا أساس واقعي يؤكد حكاية عليسة على النحو الذي ترد به عادةً، وإن كان يوسيفوس Josephus[٤] قد أشار — نقلًا عن مؤرخين آخرين — إلى أن عليسة قد أسست في السنة السابعة من حكم بغماليون مدينة قرطاج، أي سنة ٨١٤ق.م، ما يعني أن تأسيس المدينة الجديدة ربما تم برعاية صور التي كانت مكتظة آنذاك بما يزيد عن سعتها من السكان، كما كانت مهددة على الدوام من الممالك المجاورة.

إن حكاية جلد الثور تبدو أيضًا أسطورة أخرى، وهي تقدم نوعًا من التفسير اللغوي الذي يسوغ إطلاق اسم بيرصا على الهضبة التي تم اختيارها لتكون أساس المدينة الجديدة. فبيرصا (بِرْصا) Birsa تعني: جلد الثور، وبأمر عليسة قام الحاكة الفينيقيون بتشريحه إلى خيط رفيع متصل وعودلت مساحته فكان محيطًا بالهضبة التي دُعيت بيرصا، فنزلها الصوريون متوطنين. هذا هو ملخص الأسطورة، وبِرْصا تعود — فيما أرى — إلى السومرية[٥] بُرْسي (بُرْصِ) bursi التي تعني الوعاء يُحمل فيه الماء أو الطعام، ويكون من الجلد إذا خيط جرابًا أو قربةً. وبعبارة أخرى فإن تأسيس قرطاج، بغض النظر عن الإطار الأسطوري الذي وُضعت فيه، إنما كان بحثًا عن إقليم جديد قادر على استيعاب

[٤] يوسيفوس فلافيوس. مؤرخ يهودي عاش بين ٣٧ و١٠٠م. وهو المعروف عند العرب باسم يوسف بن متى. من مؤلفاته: الحرب اليهودية، والعاديات اليهودية. والأمة اليهودية.

[٥] أعتقد أن الكنعانيين هم أحفاد السومريين الذين هاجروا شرقًا بعد استتباب الدولة الأكدية، والقول بذلك يحل إشكالًا معروفًا في تعدد الآراء واختلافها حول المكان الذي كان فيه الكنعانيون قبل توطنهم شرق المتوسط. وتعود كلمة كنعان إلى السومرية كنانگ Kanang وتُقرأ، في حال إفرادها أي دون اتصالها بما بعدها في سياق من الكلمات: كنآن Kanan، وهي الكلمة التي أطلقها السومريون على أنفسهم، أي سكان بلاد كنگي Kingi، أو بلاد السادة الأصلاء، أما كلمة سومر (شُمِرْ) فهي أكدية، ولم تُعرف في النصوص السومرية القديمة. (للمزيد، راجع للمؤلف: ما قبل اللغة، الجذور السومرية للغة العربية واللغات الأفروآسيوية). أما الفينيقيون فهي الكلمة التي عممها الإغريق للإشارة إلى الكنعانيين، كما أن القرطاجيين كانوا يدعَون بالصوريين، نسبة إلى صور، ثم عمَّت كلمة Carthago الرومانية المتحولة عن اليونانية Karchidon المتحولة بدورها عن الأصل الفينيقي قرت حدشت، أي القرية الجديدة، تمييزًا لها عن أوتيكا Utica أي العتيقة.

كثافة السكان الصوريين، كما كان سعيًا إلى إقامة وتأسيس المزيد من الأسواق (إمبوريا) وتأمين واستغلال مصادر اقتصادية جديدة لا تنافسهم عليها أمم وممالك أخرى.

دُمرت قرطاج في ١٤٦ق.م. بعد أن استغرقت الحروب القرطاجية الرومانية قرنًا من الزمان، إلا أن صراع قرطاج مع روما وأثينا للسيادة على البحر المتوسط يمتد إلى أبعد من ذلك بكثير، فقد كانت معركة هميرا Himere، وهي مدينة أسسها اليونانيون على البحر التيراني، أولى معارك القرطاجيين الكبيرة، فانهزموا فيها عام ٤٨٠ق.م. ولكنهم عادوا إلى المدينة عام ٤٠٩ق.م. فدمروها تمامًا، وقد كانت مدينة عظيمة عاشت زهاء قرنين من الزمان، فبدأ القرطاجيون بناء مدينة جديدة في موقع قريب من المدينة القديمة، تؤهلهم للاستقرار وبسط سيطرتهم على التجارة وإنتاج الحبوب، وامتدت سيطرتهم فشملت جنوب إيطاليا، وهو ما أدى إلى تحالف الإغريق والرومان ضد القرطاجيين المتحالفين مع الأتروريين، وأدى استدراجًا إلى تأجيج الصراع بين هذه الأطراف حتى بداية الحروب البونية، التي انتهت بدمار قرطاج.

إن الصراع على هميرا بين القرطاجيين وبين الإغريق والرومان، منذ اندحار القرطاجيين في معركتهم الأولى إلى أن تمكنوا من تدمير المدينة تمامًا، يتزامن — كما أعتقد — مع الرحلات الليبوفينيقية (الليبية الفينيقية) Libyophoenician، كما يتزامن مع بحث القرطاجيين عن مواقع استقرار ومحطات جديدة على سواحل أوروبا الغربية. وبوضع رحلة حنون في إطارها التاريخي نعرف أنها مثلت تعويضًا عن خسارة الحرب مع الإغريق في هميرا، وهي بالتالي جزء من سعي قرطاج الدءوب إلى التوسع وبسط النفوذ على أراضٍ جديدة، وبعبارة أخرى: تأسيس المزيد من الأسواق وتأمين مصادر اقتصادية جديدة؛ أي إن الأسباب التي أخرجت الفينيقيين من صور إلى قرطاج، هي نفس الأسباب التي أخرجت أبناءهم من قرطاج إلى هميرا، ثم أخرجتهم إلى سواحل غرب أوروبا وسواحل غرب أفريقيا التي عرف نص رحلة حنون العالمَ القديم عليها للمرة الأولى على النحو التفصيلي الذي يذكره.

ومع أن قرائن الآراء وأدلتها تختلف بين باحث وآخر، إلا أن تقدير تاريخ الرحلة بعام ٤٢٥ق.م. يبدو موفقًا، بالرغم من أن هناك من يرى أن الرحلة قد كانت في الربع الأخير من القرن الخامس ق.م. أو عام ٦٠٠ق.م، وقد تساءل الكثيرون باستغراب عن السبب الذي كان وراء إحجام هيرودوت Herodotus[٦] عن الإشارة إلى رحلة حنون، بينما كان قد

[٦] أبو التاريخ الإغريقي، يعني اسمه: عطية الربة هيرا، عاش بين ٤٨٤ و٤٢٤ق.م. فر من اضطهاد طاغية مدينته هاليكارناسوس وطاف العالم سبعة عشر عامًا، فزار آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين وسوريا

أشار إلى رحلات ومغامرات شبيهة خاض الفينيقيون بعضها، ولا أرى سببًا وراء ذلك إلا كون هيرودوت قد كان معاصرًا لحنون، ولكنه مات قبل أن يقوم الأخير برحلته، أي إنه لم يطلع على ترجمة النص القرطاجي إلى اليونانية. لقد ولد هيرودوت على ساحل آسيا الصغرى حوالي عام ٤٨٤ق.م ومات حوالي ٤٢٤ق.م في جنوب إيطاليا. فإذا صح تاريخ وفاته يكون قد مات قبل سنة من قيام حنون برحلته البحرية هذه. ومن المعروف أنه زار مصر، مع اعتقاد بأنه زار برقة ووصفهما، ووصف الأرجاء والقبائل الليبية وما يُحكى عنها من أساطير كان التجار من سكان الحواضر يتناقلونها آنذاك، إلا أنه بالطبع لم يرَ ترجمة النص القرطاجي مطلقًا، لأن هذا النص — ببساطة — لم يكن آنذاك قد ظهر بعد.

على هذا الأساس يكون سكيلاكس Scylax الذي كتب في منتصف القرن الرابع ق.م. ما يعرف بكتاب الرحلات هو أول من أشار إلى رحلة حنون ومدينة ثمياتيريوم أولى المدن التي أسسها في طوافه.

ومصر، ومن المعتقد أنه زار قورينا، ثم استقر في أثينا فألف كتاب التاريخ، ويعرف الكتاب الرابع من التاريخ باسم (الكتاب الليبي) Libykoi Logoi، وقد وصف فيه القبائل الليبية ومواطنها وعاداتها من غرب وادي النيل حتى المحيط الأطلسي.

الفصل الثاني

حنون الملك البحَّار

هو حنون بن إزُرْ Hannon son of Izor، وقد يُكتب اسم أبيه إزُروس Izoros، والسين مع الصائت الذي يسبقها من مزيدات اللغة اليونانية. ويعني اسم حنون تمامًا ما يعنيه في اللغة العربية، فحنون أو حنان Hannan، هو الحنان، الرءوف، الرحيم. وهو في الأشورية: حَنا Hanna. وأعتقد أنه يمتد إلى السومرية حِنون En-nu-un التي تفيد الناطور أو الحامي (الذي يحمي)، وتأتي صفةً للإنسان من كلمة en-nu التي تعني: حمى، راقب. فاللغة الكنعانية (الفينيقة) أو شفة كنعان كما تسميها التوراة، وجميع اللغات الأفروآسيوية (والأشورية والعربية والأمازيغية من فروع هذا الجذع) تعود في اعتقادي إلى السومرية، وقد صرفتُ لإثبات هذه النظرية كتاب: ما قبل اللغة، المنشور عام ٢٠٠٨م.

لقد ذاع اسم حنون أيضًا بصيغة حنو Hanno كما نجده في نسخة كوري. ونجده لدى بعض الباحثين العرب مصحَّفًا باسم هانو أو هنو، نقلًا عن اللاتينية، ونكتفي عادةً باسمه كما هو، أو نضيف «الملك البحَّار» وصفًا له، أو نقول حنون الثاني Hannon II، تمييزًا له عن حنون الأول Hannon I الذي ربما كان أول ملوك قرطاج (يرجح أنه حكم في منتصف القرن السادس)، ونميزه بذلك عن أكثر من قائد قرطاجي حمل الاسم نفسه، منهم حنون الثالث Hannon III (المرجح أنه حكم قبيل منتصف القرن الرابع)، وحنون

الكبير[١] Hannon the Great (القرن الثالث ق.م.) وكان «خصمًا سياسيًّا لهملقار برقة،[٢] وتسبب في ثورة المرتزقة برفضه صرف رواتبهم، فكلف هو وهملقار بسحق هذه الثورة، ولكن الخلاف بينهما أدى إلى انتصار المرتزقة، وعندما تهادنا تمكنا من إحراز النصر النهائي».[٣] وحنون الموحد Hannon, the Unifier،[٤] الذي «أسر أسطول دنيس الأول، ونزل إلى شواطئ صقلية فاتحًا»، وكان يسعى «إلى توحيد القرطاجيين والليبيين في أمة واحدة، وإرساء قوة قرطاج على الأرض لا في البحار».[٥] ومنهم، كما ذكر سيمونيدس في نشرته لنص الرحلة: حنون بن حنون الذي حكم قرطاج لسنتين بعد أبيه صاحب الطواف، وهو من لا نتعرف عليه في سلسلة ملوك قرطاج، فلربما كان قائدًا عسكريًّا، أو كان أميرًا فقط، لأن المرجح أن الذي تولى الحكم بعد حنون هو هملكون الأول. كما يذكر سيمونيدس حنون الليبي Hannon the Libyan الذي حكم البدو الرحل، وهو والد هملكون Himilcon الذي كان من قادة إحدى الحملات على صقلية. وفي ذلك تكرار يدل على أن المقصود بهما واحدٌ لا غير، هذا إلى آخرين عددًا يذكرهم سيمونيدس من القادة

---

[١] من قادة حنبعل في الحروب القرطاجية الرومانية الثانية، تولى قيادة الجيش سنة ٢١٦ق.م. هُزم حنون الكبير في معركة غرومنتيوم أمام تيبيريوس لونغيوس عام ٢١٥ق.م، بينما كان عائدًا من غلوريا إلى كامبانيا وفقد ٢٠٠٠ من جنوده، والتحق بحنبعل قرب نولا، ثم عاد من جديد إلى غلوريا واستولى على كروتوني، وفي إيبيريا هزم حنون الكبير مع ماغون برقا سنة ٢٠٧ق.م. وقتل أخيرًا على يد سيبيو الأفريقي سنة ٢٠٤ق.م. أثناء احتلاله المواقع القرطاجية في إيبيريا.

[٢] وُلد سنة ٢٧٥ق.م. وهو والد حنبعل وماغون وأزربعل. وأول قادة قرطاجنة في إيبيريا (إسبانيا). تولى القيادة شابًّا سنة ٢٤٧ق.م، وأسس مجالس شعبية للقرطاجيين الذين يعملون في جيشه. غزا بانورمس Panormus (باليرمو الحالية)، وهاجم القوات الرومانية في صقلية، ثم استدعاه مجلس الشيوخ لينقذ قرطاج من ثورة الأهالي وسكان المدن المجاورة، فأعد جيشه ورحل به إلى شمال أفريقيا حيث واجه الثوار وقضى عليهم، وقد دامت الثورة أربعين شهرًا تعطلت فيها الحياة في قرطاج، وعرض هملقار على حكومة قرطاج أن تمول حربًا جديدة ضد روما تنطلق من قرطاجنة، ولم توافق قرطاج إلا على قدر ضئيل من المساعدة، ولكنه مضى في حملة دامت ٨ سنوات فاستولى على جزء كبير من أقاليمها شكَّل فيما بعد منطقة نفوذ للقرطاجيين، واستعاد ما فقدته قرطاج سابقًا في إيبيريا وفي المتوسط. لقي حتفه سنة ٢٢٨ق.م غرقًا في أحد الأنهار بينما كان يستدرج الإيبيريين بعيدًا عن موقع ولدَيه خشية الوقوع في أسرهم.

[٣] معجم، ص٣٧٣.

[٤] قائد ليبوفينيقي نجح في حربه على صقلية وسيطر عليها.

[٥] معجم، ٣٧٢.

والمؤرخين الذين يحملون الاسم نفسه ممن عاشوا في صور وقرطاج على مدى عصور متفرقة.[٦]

ويروي خارون القورينائي Charon the Kyrenaean نقلًا عن ديونيسيوس Dionysios ابن الحاضرة الليبية في كتابه عن الشعراء والكُتاب الجِناسيين (متماثلي الأسماء) The Homonymous Poets and Writers أن حنون عاش في القرن الخامس (منتصف الألف الأولى) قبل الميلاد، وكان خال مِلامْفُسْ (ميلامپوس) Melampus، وهو الملك العشرون لقرطاج، ولأن ابن أخته لم ينجب وريثًا للعرش فقد حكم حنون بعده، ودام حكمه ستين سنة، قبل أن يموت عجوزًا عن مائة سنة. وهذه الرواية تجعله يحكم في السنة الرابعة من الأولمبياد الثامن والأربعين، أي سنة ٥٨٤ق.م. وقد أورد هذه الرواية سيمونيدس في كتابه عن الطواف،[٧] على أن عرش قرطاج بعد ذلك انتقل من حنون الأب إلى حنون الابن وفق التقليد الملكي الذي ساد قرطاج قبل تحولها إلى النظام الأوليغارشي الدستوري.

لقد وُصف حنون بأنه ملك القرطاجيين في نسخة سيمونيدس، وبأنه زعيمهم في نسخة كوري، مما يدل على أن نظام الأسباط لم يكن قد نشأ بعد، وأن القرطاجيين لم يُقروا دستورهم (الذي أشاد به الإغريق) حتى ذلك الوقت. فحنون البحار أصبح ملكًا ورث عرش قرطاج بعد قيامه بهذه الرحلة، وبعد موت ملك قرطاج وهو ابن أخته مِلامْفُسْ الذي مات كليلًا لا وريث له.

وفي التذييل الذي نشره سيمونيدس لنص الرحلة نجد أن من قام بكتابة تلك النسخة اليونانية يورد تسلسلًا يدفع إلى التشكيك في واقع الأسطورة التقليدية التي تُروى عن تأسيس قرطاج على يد عليسة بعد فرارها من صور؛ خشية أن تقع في يد أخيها بغماليون. فقرطاج في هذه النسخة ترِد بتسميتها الإغريقية أي كرشيدون Karchedon، ومؤسسها هو الفينيقي كرشيدون الذي أعطاها اسمه، وهو ابن مَرْدَانُسْ Mardanos وقد حكم مدينته أكثر من ثلاثين سنة، قبل أن يرثه ابنه أراشون Arrachon لسبع سنوات على سدة الحكم، ولما كان هذا كليلًا دون وريث يخلفه فقد آل حكم المدينة إلى ابن أخيه، ويُدعى حنون، إلا أنه ليس حنون صاحب الطواف، ودام حكمه سبعين سنة قبل أن يرثه ابنه

[٦] طواف، ٢٢.

[٧] طواف، ٢٢.

فاغثون Phagethon الذي حكم لخمس وثلاثين سنة، ثم ترك الحكم بدوره لابنه مِلامْفُسْ الذي لم يكن له وريث يخلفه، فآل حكم المدينة إلى خاله حنون الذي حكم قرطاج لستين سنة. وهو صاحب الطواف وراء أعمدة هرقل ومؤسس المدن الليبية الفينيقية الجديدة.

إن بناء هذا التسلسل أسطوري كما يبدو، لأننا نجد حنون الأول قد حكم سبعين سنة بعد أن مات الملك دون وريث يخلفه، ونجد حنون الثاني قد حكم ستين سنة، بعد أن مات الملك دون وريث أيضًا، ونحن هنا إزاء عدة آراء قد نسلم ببعضها، وقد لا نقبلها جميعًا. فقد يكون تسلسل الحكام محض اختلاق والرواية في مجملها لا صحة لها، أو تكون سني حكم أحدهما كذلك، وفي كل الأحوال فإن هذه السلسلة تخالف الرواية الشائعة عن الملكة عليسة التي تتفق أغلب الروايات على أنها اختارت بلغتها الفينيقية (الكنعانية) اسم قرطاج أي قَرْتْ حَدَشْتْ (أو القرية الحديثة)، وعلى أن أساسها كان شراء مساحة من الأرض تعادل مساحة جلد ثور. وربما يكمن في أسطورة النشأة هذه، وفي الرواية القديمة عن تسلسل حكام قرطاج التاريخي قدر من الحقيقة، مثلما يكمن قدر من الخيال الذي يعود أصلًا إلى رغبة القرطاجيين في إضفاء هالة من القداسة على نشأة المدينة، وإلى رغبتهم في إظهار صورة محددة دون غيرها عن الوقائع الأولى بعد قدوم الصوريين وتوطنهم شمالَ أفريقيا. وعلى كل حال، فإن تسلسل حكام قرطاج يزداد غموضًا ويعمه الاضطراب كلما زدنا اقترابًا من زمن نشأة المدينة وتكونها، إلا أن الروايات — بشكل عام — تجعل من عصر حنون الثاني — صاحب الطواف — بدايةَ نهايةِ النمط الملكي الذي يكون فيه الحكم وراثيًّا، وتتركز السلطة فيه في شخص الملك، فهو أقرب منذ هذا العصر إلى النمط الأوليغارشي الذي تتوزع فيه السلطة على نخبة من القرطاجيين، لثرائهم أو لحنكتهم السياسية والعسكرية، أو لأن المجالس الشعبية انتخبتهم واتفقت على توليهم مناصب قيادية، مثل عضوية مجلس الشيوخ أو القضاء أو الرقابة، وعصر التعددية هذا كان أقرب إلى السياسة الجمهورية، نظمه دستور محكَم، أوفى من دساتير الدول الأخرى، مثل إسبرطة وكريت، كما قال أرسطو في كتاب السياسة، إلى أن استبد مجلس الشيوخ بالسلطة في قرطاج، وأصبح قادرًا على تعيين الأسباط (الأسفاط) وعزلهم.

نعود إلى حنون ... ففي حين يمكن تحويل الرحلة إلى إحداثيات واضحة بمقاييس خطوط العرض والطول، وهي الطريقة التي ابتكرها مارينوس الصوري، فإن بليني حوَّل النقاط الرئيسة في الرحلة إلى قياسات طولية كما كانت سائدة عند الرومان، وقد عرفنا منه أن القرطاجيين أرسلوا حنون وأخاه هِملكون لاستكشاف حدود العالم، وفي

حين اتجه حنون جنوبًا فإن أخاه اتجه شمالًا، وهي رحلة لا نعرف عنها الآن شيئًا دقيقًا لأنها لم تدوَّن، وكل ما يمكن أن يقال بصددها هو من قبيل التخمينات العلمية التي تستند إلى معرفة عامة بسواحل أوروبا الغربية والشمالية في ذلك الزمن.

ووفقًا لبليني فإن رحلة حنون انتهت عند حدود جزيرة العرب! ويبدو ذلك متسقًا مع المعرفة الجغرافية القديمة التي تداخلت فيها خطوط الطول والعرض مع المحاولات الأولى لرسم خريطة العالم القديم، إذ كانت الدقة والتحديد موجهان أساسًا إلى الأيكومين المعروف، أي العالم المأهول آنذاك، بينما يجري التغاضي عن الأراضي المجهولة التي لم يدون أحد رحلته إليها، والتي كان العلم بها يستند غالبًا إلى روايات شفوية من تجار أو مغامرين. وقد ذكر سيمونيدس[٨] أن أريانوس Arrhianos في كتابه عن تاريخ الهند تحدث عن حنون قائلًا إن: «حنون الليبي بمغادرته قرطاج إلى أعمدة هرقل أبحر في المحيط وكان الساحل الليبي عن يمينه، ثم اتجهت رحلته إلى الشرق لخمسة وثلاثين يومًا، وبتوجيهه الدفة إلى الجنوب عانى من مِحَن ندرة الماء، والجو الساخن المجهِد، والتيارات المحمومة التي كانت تجري على المحيط». فهذا النص الذي نجده أيضًا عند بليني ذكر المدة التي استغرقتها الرحلة وما واجهته من محن وهو ربما لا يربك قراءه إلا في ذكر الاتجاه شرقًا وجعل الساحل الليبي (الأفريقي) يقع على يمين حنون، بينما لا تستقيم صورة الرحلة في الذهن إلا بجعلها تتجه غربًا، لا شرقًا، وجعل الساحل يقع على يسار حنون، لا على يمينه، ولا يمكننا هنا القول إن أريانوس قد أخطأ في وصفه هذا، لأن الاصطلاح الجغرافي وتحديد الاتجاهات الطبيعية وخطوط الطول كانت معرفة متغيرة بين المؤرخين والجغرافيين القدامى، ولعل أشهر مثال على ذلك أن المصريين كانوا يسمون الشمال جنوبًا، والجنوب شمالًا، إلى أن تبدلت بوصلة الاتجاهات القديمة هذه بعد اتصالهم بالممالك والأمم الأخرى، وخاصةً الإغريق.

يقول سيمونيدس أيضًا عن أريستيدس البيزنطي Aristeides the Byzantian[٩] إنه: «لم يعاين كتابات حنون ولكنه رآها مصادفةً وقرأها، وهو يروي الآتي في كتابه حول المصريين:[١٠] القرطاجيون الذين أبحروا من غاديرا Gadeira (قادش) والذين استوطنوا

---

[٨] الطواف: ١٦.

[٩] الطواف: ١٦.

[١٠] الكتاب الثاني، ص٤٧٤.

مدن ليبيا الصحراوية لم يحضروا معهم شيئًا مهمًّا، ولم يدونوا للمعبد أو يودعوا فيه شيئًا، لكنهم كتبوا رواية مختلفة تنافي العقل. أنا أقول إنها مناسبة للنشر على الملأ، كما فعل الأمراء القرطاجيون الذين كتبوا الرسائل بدلًا عن ذلك في بعض المعابد العامة». ويبدو أريستيدس مشككًا في صحة ما عثر عليه مصادفةً وقرأه، كما يشي تعليقه السابق بأن القرطاجيين لم يدونوا جغرافيا الرحلة ووقائعها، وأن النص المشهور عنها إنما يُخفي أكثر مما يُظهر، وأنه غير مجدٍ إلا لبثِّه بين العامة، كما فعل «الأمراء القرطاجيون».

وفكرة أن القرطاجيين تعمدوا إخفاء تفاصيل رحلتهم هذه ووقائعها ومساراتها، أو أن الإغريق تعمدوا نشر ترجمة غير وافية عن الأصل الفينيقي، تتفق وطبيعة الصراع الذي كانت تدور رحاه آنذاك بين سادة المتوسط هؤلاء، بالإضافة إلى الرومان بالطبع. كي-زيربو[١١] أشار بصدد ذلك إلى أنه «إذا كان الفينيقيون (القرطاجيون) قد أرادوا إخفاء مصادر المواد الغذائية والذهب الذي كانوا يأتون به من أفريقيا عن منافسيهم المحتملين، فإنهم قد نجحوا في ذلك تمامًا لأن النص الذي يروي فصول رحلة حنون لا يقدم لنا معلومات دقيقة عن أفريقيا السوداء. وكل ما هنالك — فيما يبدو — أن القرطاجيين كانت لهم مستعمرات تجارية على طول شواطئ الأطلسي الأفريقية».

أما هنري عبودي[١٢] فينسب عدم وضوح المعلومات التي يقدمها نص الرحلة إلى اليونانيين، قائلًا: «لا نملك اليوم إلا ترجمة يونانية للنص الوارد فيها قد لا تخلو من بعض التحريف في الأسماء والمعلومات بهدف التعتيم على معالم الطريق التي سلكها القرطاجيون والمراكز التي رسوا فيها.» وهو ينشر نص الرحلة بشكل لا يكاد يختلف كثيرًا عما ننشره هنا، إلا أنه لا يذكر بعض ما أشارت إليه نسخة سيمونيدس، مثل حديث حنون عن ابنته وخاله والبحار أستراويوس والأسباب التي كانت وراء إطلاق تسمية بعض الأماكن كما وردت، ولا يشير عبودي إلى مصدر نص الترجمة اليونانية في مادة «حنون» تساوقًا مع طبيعة المؤلف المعجمية.

إن القول بأن حنون قد أخفى مسار رحلته إلى قرن الجنوب (أو ربما إلى أي مكان آخر انتهى إليه ترحاله ولم يُعرف)، خشية أن يتحول إلى دليل في يد أعداء قرطاج، قول يدعمه عدم الوضوح الذي يحيط برحلة أخيه هِملكون إلى سواحل غرب أوروبا، أي

---

[١١] تاريخ: ١٤٢.

[١٢] المعجم، ٣٧٠.

بالطواف حول إيبيريا ومنها إلى ساحل فرنسا الغربي ثم إلى بريطانيا، كما يدعمه أيضًا عدم الوضوح الذي يحيط برحلات ماغون التي رافق فيها تجار الغرمنت إلى النيجر ومنها إلى السنغال، وإلى أمكنة أخرى وراء الصحراء الكبرى، بحثًا عن الذهب، ولجلب الحيوانات التي يندر وجودها في شمال أفريقيا. ويبدو أن حرص الليبوفينيقيين في خضم الصراع والتنافس مع الإغريق والرومان تحول إلى «عادة قومية» — إذا جاز هذا الوصف — حتى إن السفن الرومانية تعقبت ذات مرة «سفينة فينيقية» كي تصل إلى الأسواق البعيدة التي كان الفينيقيون يذهبون إليها خفيةً فما كان من قائد السفينة إلا أن قذف بسفينته عمدًا على اليابسة وحطمها، ثم قبض من دولته ثمن حمولة السفينة التي فقدها. وبالعودة إلى اللقى والنصوص الفينيقية النادرة التي عثر عليها في البرازيل،[١٣] والتي ما زالت محفوظة حتى الآن، نعرف إلى أي مدى جد القرطاجيون في سبق غيرهم من سادة البحار وإلى أي مدى وصلوا محتفظين لأنفسهم فقط بما اكتسبوه من معارف جديدة، وبما حققوه من نتائج، على النقيض من أسلافهم الذين عملوا في أزمنة سابقة لصالح مصر وفارس وغيرهما من الممالك والإمبراطوريات، وكانت أشهر رحلاتهم تلك التي ذكرها هيرودوت في الكتاب الرابع من تاريخه عن الانطلاق من مصر عبر البحر الأحمر والدوران حول أفريقيا والرجوع ثانيةً إلى مصر عبر البحر المتوسط. وهي الرحلة التي استغرقت ثلاث سنوات وتمت برعاية الملك الثاني من الأسرة المصرية السادسة والعشرين (الأسرة الليبية الثانية) نخاو بن بسَماتيكوس.[١٤] وبالرغم مما حققه القرطاجيون من نتائج باهرة أثناء صراعهم مع أثينا وروما، إلا أن عدم ترك نصوص تعرض هذه الملاحم يُشعرنا الآن بخطأ

[١٣] بالرغم من الاجتهادات والآراء الكثيرة يبدو أن الأصل في اسم البرازيل هو الكلمة الفينيقية الكنعانية (ذات الأصل السومري): برزل Barzil، أي: حديد، ما يدل على بحث الفينيقيين عن المعادن آنذاك فيما يعرف الآن بجمهورية البرازيل.

[١٤] يروي هيرودوت (الكتاب الرابع، فقرة ٣٢) أن الملك المصري نخاو (٦٠٩–٥٩٤ق.م.) — وهو ذو اهتمامات جغرافية وبيئية، وكان قد أمر بحفر قناة تصل النيل بالبحر الأحمر — أرسل فريقًا من الفينيقيين للطواف حول ليبيا (أفريقيا)، وأن تلك الرحلة هي التي كشفت للمرة الأولى أن الماء يحيط بليبيا من جميع الجهات باستثناء نقطة اتصالها بآسيا، وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنين حيث بدأت من شمال البحر الأحمر باتجاه الجنوب، وعبروا باب المندب، وفي مكان ما من جنوب أفريقيا نزل الفينيقيون إلى اليابسة وزرعوا قمحًا ثم حصدوه ثم واصلوا الرحلة، إلى أن وصلوا إلى أعمدة هرقل فاتجهوا غربًا حتى وصلوا إلى مصر.

هذا المنهج الذي جسد بالنسبة لهم منتهى الحصافة دون أن يتبينوا فداحة حرصهم على النجاح في منافسة اليونانيين والرومان وغيرهم. أو لعلهم استخدموا وسائط غير التي اعتادها الآخرون من برديات وألواح ومسلات، وربما هي مسألة وقت قبل أن يتيسر كشف تلك الوسائط المجهولة، أو ربما لا!

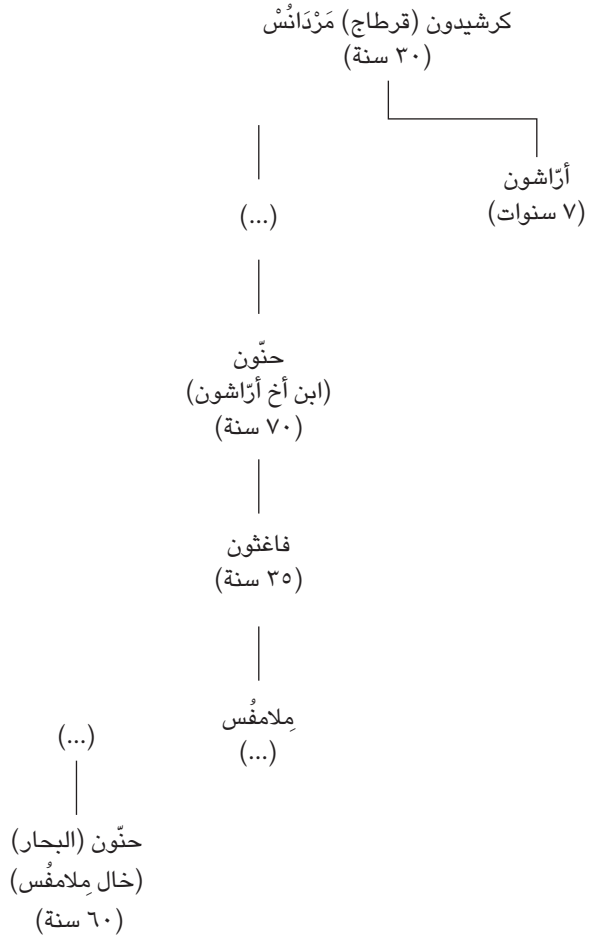

تأسيس وحكم قرطاج (نسخة سيمونيدس)

منذ التأسيس إلى ما قبل أسرة ماغون
عليسة (القرن الثامن ق.م!)
(فترة ملوك مجهولين)
حنون الأول
مِلكو (هملكون!)
من ماغون الأول إلى حنون الثالث
(جميع هذه التواريخ تقريبيّة)
ماغون الأول (~ ٥٥٠–٥٣٠ ق.م)
أزروبعل (~ ٥٣٠–٥١٠ ق.م)
هملقار (~ ٥١٠–٤٨٠ ق.م)
حنون الثاني (~ ٤٨٠–٤٤٠ ق.م)
حنبعل (~ ٤٤٠–٤٠٦ ق.م)
هِملكون (~ ٤٠٦–٣٩٦ ق.م)
ماغون الثاني (~ ٣٩٦–٣٧٥ ق.م)
ماغون الثالث (~ ٣٧٥–٣٤٤ ق.م)
حنون الثالث (~ ٣٤٤–٣٤٠ ق.م)

الفصل الثالث

النص الفينيقي المفقود

إذا كان القرطاجيون قد دونوا رحلة حنون بأنفسهم، فلماذا لا نجد النص الفينيقي الذي يتحدث عن تفاصيل هذه الرحلة التي ميزت المستكشفين من أهالي قرطاج عن الإغريق والرومان؟ وما حقيقة أسماء الآلهة التي ترد في نص الرحلة المعروف؟

يتساءل إ. كوري[1] عن الكتابات القديمة قائلًا: «أين هي إذن كتابات أشور وبابل، فارس ومصر وفينيقيا، صور وقرطاج، والنصوص الأدبية لتلك الإمبراطوريات العظيمة، بل أين بقاياها؟» تعود هذه التساؤلات إلى زمن نشر الشذرات (١٨٢٨م)، وكانت صائبةً آنذاك، لا شك، أما الآن فإننا لم نعد نتساءل عما بقي من أشور وبابل ومصر، فتلك الممالك أورثت العربَ ما يغنيهم عن التساؤل أبد الآبدين، لكننا ما زلنا نتساءل في الوقت نفسه عن تراثنا الكنعاني (الديني والتاريخي والأدبي)، بعد أن أعيانا البحث عن مصادره، فلم تفصح مظانه عن الكثير، ولم نجد منقولًا منه إلى اللاتينية والإغريقية إلا القليل.

لقد أثارت هذه التساؤلات مخيلة باحثين كثر كانوا ينتهون غالبًا إلى التسليم بفقر الفينيقيين الأدبي، في مقابل ثرائهم الخرافي الذي اشتهروا به بين أمم العالم القديم، إلا أن الإجابة عن هذه التساؤلات ربما كانت أيسر مما يتخيل بعضنا. فالفينيقيون عامةً، والقرطاجيون على غرارهم، وإن لم يولوا اهتمامًا يُذكَر بتدوين حولياتهم وملاحمهم ومعتقداتهم، إلا أنهم لم يُعدَموا ذلك، ولكن استخدامهم للبردي، بقدر ما كان متفقًا تمامًا مع يومياتهم التي يغلب عليها طابع الاتجار والمقايضة وتدوين سجلات التجارة، والتنقل بين مدن البحر المتوسط، ومدن الصحراء الليبية، ومدن مصر وبلاد الشرق، لسهولة حملها

---

[1] شذرات: i.

وحفظها، بقدر ما كان — أي البردي — سريع التلف والاندثار، فلا وجه للمقارنة — بعد ذلك — بين مادة تدويناتهم العابرة تلك، وبين ما كان المصريون قد نقشوه على الحجر من مسلات، أو كان السومريون قد رقموه على الطين من ألواح مفخورة، وهو ما اتسم بالديمومة والسلامة إلى يوم الناس هذا، وإذ نفكر في هذا التراث علينا أيضًا أن نستدعي دمار قرطاج على يد الرومان وما رافقه من حملات حرق محفوظات القرطاجيين وإتلافها. لقد كان تخريبًا شاملًا أثارت قسوته مخيلة المؤرخين إلى أبعد الحدود.

كانت مدونة رحلة حنون حجرًا منقوشًا في معبد بعل حمون، ولم يعرفها العالم إلا من خلال ترجماتها التي يرجح أنها كانت إلى اللغات الإغريقية واللاتينية، وربما المصرية. وهي الترجمات التي تغير فيها اسم بعل حمون إلى كرونوس تارةً، وإلى ساتورن تارةً أخرى، بحسب معتقد من قام بالترجمة. أي إن ورود أسماء الآلهة غير القرطاجية (الكنعانية) كان أثناء ترجمة النص قبل أن يُفقَد، وكان من ضرورات هذه الترجمة مقابلة أسماء الآلهة الغريبة لإعطاء النص موثوقيته إذا أذيع بين الناس.

كان بعل حمون Ba'l Hammon كبير آلهة قرطاج، ويعني اسمه «سيد الأعمدة»، أي أعمدة المعبد، أو «سيد الأنصاب» بمعنى كبير الآلهة، وربما كان الأصل في تسميته «بعل حماميم»، ما لم يكن ذلك وصفًا له، ويكون الأصل في اسمه «بعل آمون» Ba'l Ammon، دمجًا بين الإله الكنعاني بعل والإله الليبي آمون الذي كان مقره (معبده الأصلي) في واحة سيوة شرق ليبيا، وهي المسماة أيضًا واحة آمون، وما يرجح هذا الدمج بين المعبودين أن الكبش كان رمز بعل في قرطاج، وهو أيضًا رمز آمون. وقد كانت الصلاة له (في قرطاج ومعظم مدن الساحل الأفريقي) تُقرن عادة بالصلاة للإلهة تانيت Tanit[٢] التي كانت تسمى «وجه بعل»، وقد جرت المعتقدات على دمج آمون بآلهة وافدة أخرى مثل

[٢] الإلهة الأولى في قرطاج، عُبدت إلى جانب بعل حمون، وكانت تسمى: وجه بعل. وتعتبر تانيت رمز الأمومة والخصب والنماء وازدهار الحياة، وكانت مصدرًا للتقوى والمحبة بين القرطاجيين فكانوا يهبون لها التقدمات الثمينة ويقسمون باسمها إذا أرادوا إثبات وفائهم وصدقهم. ولم تجسَّد تانيت في وثن، بل كان رمزها يُختزل رسمًا في جسد الإنسان (مثلث للجذع، ودائرة للرأس، وخط أفقي للذراعين) بالإضافة إلى الهلال وكف ظاهرة بأصابعها الخمسة (وهي أصل ما يطلق عليه بالدارجة: خميسة، المكرسة لمنع الحسد)، وكان هذا الرمز منتشرًا على الأحجار النذرية وأشرعة السفن والمقتنيات المحفوظة على امتداد شمال أفريقيا من مدينة سلطان القرطاجية (شرق سرت بليبيا) إلى المحيط الأطلسي، كما عثر عليه في بيروت ومدن فينيقية أخرى في مالطا وصقلية وغيرهما، وكان لتانيت معبد في روما أسسه الإمبراطور

زيوس آمون الإغريقي، وجوبيتر آمون الروماني، وكان تقديس الليبيين والقرطاجيين على السواء (أو الليبوفينيقيين Libophoenicians)[٣] مكرسًا له على هذه الوجوه الثلاثة لِقدمه وارتباطه بالساحل والصحراء.[٤]

إن ما يُجمع عليه جميع من تناول هذه الرحلة بالبحث هو أن القرطاجيين قد دونوا نص رحلة حنون على مسلة وُضعت في معبد بعل حمون في قرطاج، وأن هذه المسلة قد دُمرت مع دمار قرطاج على يد الرومان، وعن هذه المسلة نقل اليونانيون نص الرحلة، وعن اليونانيين نقلها آخرون، بعضهم ممن نعرف وبعضهم ممن لم نعرف، وعلى ذلك اعتمد بليني الأكبر Pliny the Elder فأشار إلى الطواف في كتاباته الجغرافية، قائلًا إن «حنون الليبي انطلق من قرطاج فعبر أعمدة هرقل، وأبحر في المحيط. غادر مرفأه على ليبيا وأبحر باتجاه الشرق (!) خمسةً وثلاثين يومًا كما أُخبِرت. لكنه آخر الأمر، عندما استدار نحو الجنوب، وقع في محنة كبيرة: الحاجة إلى الماء، والحرارة اللافحة، والتيارات المحمومة التي تجري في البحر». وهو ما نجده في النسختين المعتمدتين لدينا، باستثناء مسألة الشرق التي أشرنا إليها آنفًا، ولا يمكننا هنا سوى التأكيد على أن نص المسلة التي أقيمت في معبد بعل حمون قد ترجم مرارًا وتكرارًا، وأنه قد انتشر بعيد وضعه في المعبد وإعلانه على الملأ. إن سيمونيدس يعود في بحثه المضني عن الاستشهادات إلى ستيفانوس البيزنطي Stephanos the Byzantian الذي «في وصفه الأمم عامةً أشار إلى حنون، ليس مرةً، ليس مرتين، أو ثلاث مرات، بل أكثر»، وإلى ديون كرسوستوم Dion Chrysostomos

---

سبتموس سفيروس ذو الأصل الليبي. اسمها الروماني: جونو كيليتيس Juno Celestis، وهي تناظر هيرا في اليونان، ونيت في مصر، وعشتار الفينيقية، وعناة العربية.

[٣] الليبيوفينيقيون تجمُّع القبائل أو العشائر ذات الصلة الاجتماعية والمصاهرة بالفينيقيين، ولا دلالة قبلية أو إثنية لاسمهم. وهم السكان الأصليون على امتداد الشريط الساحلي حيث إمبوريا (إقليم المدن الثلاث) أي لبدة وأويا وصبراتة شرقًا إلى قرطاج غربًا. ذكرهم ديودوروس الصقلي (٢٠: ٥٥: ٤) وسترابو (١٧: ٣: ١٩) وبليني (٥: ٢٤) وبكليموس (٤: ٣: ٦).

[٤] استطراد: عم القول في كتابات المؤرخين الغربيين خاصةً، بأن القرطاجيين كانوا يقدمون لبعل حمون وتانيت قرابين بشرية من الأطفال الذكور يُلقوْن أحياء إلى المحارق المتأججة، ولكن مثل هذه الروايات مشكوك فيها، ولا تقوم على دليل واحد، أما الاستدلال عليها بانتشار المرامد في المقابر، أو الجرار التي تحفظ رماد الموتى بعد حرقهم، فخطأ أيضًا، لأن هذه المرامد كانت من طقوس القرطاجيين الجنائزية في الإبقاء على رماد موتاهم وحمله أينما رحلوا تبركًا بهم وتقديسًا لهم، وهي عادة إغريقية أيضًا.

(٤٠–١١٢م) الذي قال إن «حنون القرطاجي يجعل القرطاجيين ليبيين بدلًا من كونهم صوريين»، وأنهم توطنوا ليبيا بدلًا من فينيقيا «فنالوا ثراءً كبيرًا وتجارة عظيمة ومرافئ كثيرة وسفنًا ثلاثية الطبقات، وحكموا قدرًا أكبر من الأرض والبحر»،[٥] ويعود إلى شهادة إفاغريوس Evagrios وهو من أوائل النساخ الذين نقلوا نص الرحلة مترجمًا إلى اللغة اليونانية، ويصفها بقوله «إنها شهادة قوية جدًّا.»

وقد تناقل المؤرخون عددًا من الحكايات هي إما نتاج هذه الرحلة، وتدل على أن القرطاجيين قد واصلوا بعد رحلة حنون زيارة سواحل غرب أفريقيا، أي كانوا يزورونها فيتاجرون ثم يعودون منها، وإما أنها جزء من النص المفقود في لغته الأصلية، أي القرطاجية، أو الفينيقية الليبية، أو ما اصطُلح عليه باسم البونيقية. من هذه الحكايات — ونجدها تكررت كثيرًا بعد أن نُقلت في الأصل عن هيرودوت، أي قبل رحلة حنون، حتى وصلت ياقوت الحموي فأوردها في معجم البلدان — أن القرطاجيين تحدثوا عن بلد في ليبيا وراء أعمدة هرقل، وأنهم تعودوا زيارة هذا البلد، ولكنهم لم يخاطبوا أهله أو يختلطوا بهم، لأنهم كانوا يُنزلون بضائعهم على الشاطئ ويتركونها، ثم يشعلون نارًا يرتفع دخانها عاليًا، ويصعدون إلى سفنهم، فيأتي السكان الأصليون إلى الشاطئ عندما يرون الدخان، وبعد أن يعاينوا ما تركه القرطاجيون يتركون بدورهم قدرًا من الذهب يعادل ما يجدون من بضائع، ويبتعدون مسافةً ما، وعند ذلك يغادر القرطاجيون سفنهم فيعاينون الذهب، فإذا رأوا أنه يعادل بضاعتهم أخذوه وانسحبوا، وإذا رأوا أنه دونها تركوه وعادوا ثانية إلى سفنهم ينتظرون، فيأتي السكان ويضيفون قدرًا آخر إلى الذهب حتى يرضى التجار القرطاجيون عن الثمن الذي يعادل بضاعتهم ذهبًا، فإذا عادلها أخذوه وانصرفوا، وإذا وجدوا بضاعتهم كما هي دون ذهب بجانبها، علموا أن أولئك السكان غير راضين عن الثمن. هكذا لا يغمط طرفٌ طرفًا حقه، لا هؤلاء يأخذون الذهب حتى يكون بالقدر الذي يريدون، ولا أولئك يحملون البضاعة حتى يأخذ هؤلاء الذهب إلى سفنهم.

ومما تكرر ذكره في الكتابات التاريخية أن القائد الروماني سيبيو الأفريقي Scipio Africanus أرسل المؤرخ بوليب (بوليبيوس Polybius) بعد دمار قرطاج (١٤٦ق.م.) على رأس حملة تقتفي أثر حنون في رحلته، وكان بوليب هذا أسيرًا لدى الرومان، ويبدو

[٥] طواف: ٢٠.

أنه افتدى نفسه بما يعرفه، فكان يقدم دروسًا في التاريخ يعلِّم بها أبناء الرومان، ثم صار صديق سيبيو. إننا نفهم من خلال نقل بليني رواياته حول حنون عن بوليب أن الأخير قد حاول أن يقتفي أثر حنون شيئًا فشيئًا كما يرِد في نص الطواف، ولعل الهدف الأول بالنسبة له كان هدفًا استكشافيًّا جغرافيًّا، بينما مثل بالنسبة إلى القائد الروماني احتمالًا جديدًا يتيح له توسيع أطراف الإمبراطورية. وقد كتب بليني بعد ٢٥٠ سنة من دمار قرطاج عن حنون، نقلًا — في أكثر القراءات ترجيحًا — عما كان بوليب نفسه قد كتبه عن الرحلة.

سار بوليب، كما يقول كي-زيربو[٦] «بحذاء الشاطئ وعدد أنهاره الواحد تلو الآخر بما يكفي من الدقة للتعرف إليها عبر مقاربتها بأسمائها الحديثة، وهكذا اجتاز، في جملة ما اجتازه من أنهار، نهر سوبور (سيبو)، ونهر دارات (درعا)، ونهر بامبوتوم (نهر نون!)، إضافة إلى جبل عربة الآلهة، وهو بلا شك الجبل الذي يقابل سلسلة جبال الأطلس، ثم انتهت رحلته عند رأس هاسباريان (رأس جوبي)، وإلى تلك النواحي تنتهي أيضًا الطرق التي تأتي عبر الصحراء.»

وقد تركت هذه الرحلة — التي يبدو أنها تُخفي أكثر مما تظهر — أثرها على الجغرافيا القديمة ووضع الخرائط، بل إن هذا الأثر تواصل إلى أبعد من ذلك فكان ما تراكم حول هذا الأصل تراثًا جغرافيًّا تمت الاستعانة به حتى القرون الوسطى. فقد استعان «بطليموس الإسكندري، وهو علَّامة جغرافي بارز، بمعطيات البحارة الصوريين في وضع خارطة ظلت وثيقة مرجعية للغربيين خلال الفترة الأخيرة من العصر القديم، وردح طويل من القرون الوسطى، وقد ظل تأثيره على وضع خرائط أفريقيا قائمًا حتى القرن الثامن عشر.»[٧]

نعثر في التذييل الذي أورده سيمونيدس عقب نص الرحلة كما ورد على لسان حنون، أن هذا النص تم نقشه باللغة الفينيقية على حجرٍ أُودع معبد كرونوس حامي المدينة (أي بعل حمون)، وأن بُولِكْليتوس القوريني Polykleitos of Kyren ترجمه إلى اليونانية، في زمن ولادة الإسكندر الأكبر Alexandros Philippos في مقدونيا، ثم قام إيفاغريوس بن إيفاغريوس Evagrios, son of Evagrios بتدوين ثلاث نسخ من الترجمة قام بإهدائها

---

[٦] تاريخ: ١٤٢-١٤٣.

[٧] تاريخ: ١٤٣.

إلى أرخون الإسكندرية (أي حاكمها اليوناني) وهو إبِماخوس أرِسطَغوراس Epimachos Aristagoras تقديرًا له وعرفانًا بكرمه وجميله. ويقول إن ذلك حدث في زمن الأولمبياد الأثيني الثاني والثمانين بعد المائة،[٨] وهو يوافق سنة ٥٠ قبل الميلاد.

إن هذه الإضافة التي ذُيل بها نص الرحلة لا توضح كيف انتهى الأصل؟ أنُهب أم حُطم أم أُهمل فدفنته الرمال؟ ولكنها تفسر لنا على الأقل بقاء النسخة اليونانية ودوامها بعد فقدان الأصل الفينيقي، وإنه لمن المنطقي تمامًا أن نتصور أن نَسخ النص قد تكرر، وإن كنا لا نعرف الآن من أي بلد كان ناسخوه ومترجموه؟ ومن هم؟

[٨] أقيم الأولمبياد الأول عام ٧٧٦ق.م. في أولمبيا، بإقليم إيليس غرب اليونان. وقد ذكرت المصادر الكلاسيكية أن قرطاج تأسست قبل الأولمبياد الأول بثمانية وثلاثين عامًا، ويبدو أن هذا هو الدليل الوحيد على أن قرطاج تأسست عام ٨١٤ق.م. مع الاعتقاد بأن رواية يوسيفوس أفادت تحديد سنوات حكم بغماليون ولم تفد تحديد سنة رحلة عليسة وتأسيس قرطاج.

الفصل الرابع

الرحلة ... من قرطاج إلى قرن الجنوب

(١) يشي هذا النص — على قِصَره — بمعلومات ثمينة قياسًا بالمعرفة الجغرافية والأنثروبولوجية التي كانت سائدة في زمنه. فلا شك مطلقًا في أن هذه الرحلة كانت الأولى التي دونت وقائعها على هذا النحو بين رحلات سادة المتوسط آنذاك، من فينيقيين ورومان وإغريق. لقد أراد القرطاجيون تحقيق أهداف عدة من وراء إرسال أسطولهم إلى الأراضي المجهولة آنذاك تتمثل في:

(٢) تعويض خسارتهم في هميرا، وإخفاقهم في السيطرة على هذه المدينة التجارية المهمة. وقد كانت رحلة حنون بعد ٥٥ سنة من خسارة المعركة، مع استمرار التنافس والنزاع الحذر مع الإغريق، وقبل ١٦ سنة من اقتحام القرطاجيين المدينة وتدميرها تمامًا، ثم بناء مدينة جديدة بالقرب منها، ربما في عهد حنون نفسه.

(٣) البحث عن مستوطنات جديدة بعيدة عن المتوسط، ساحة الصراع الدائمة. ومجمل تاريخ الفينيقيين في البحر المتوسط هو تاريخ بحث عن أراض نائية غير متنازع عليها وتأسيس مدن تجارية فيها.

(٤) تأمين طريق بحري إلى مصادر الذهب وغيره من المعادن في أفريقيا، عوضًا عن السفر عبر الصحراء الكبرى. ويرجح بعض الباحثين أنهم وصلوا إلى النيجر وانتقلوا منها إلى تاروغا التي عرفت أفران الحديد بين القرنين الخامس والثالث ق.م. (نحو ألف كيلومتر جنوبًا على هضبة بوش في نيجيريا).

(٥) الوصول بحرًا إلى نهاية سلسلة جبال الأطلس على المحيط الأطلسي، الأمر الذي يعني تسريع رحلاتهم إلى مصدر الذهب.

(٦) الإعداد لنقل مسارات الإبحار إلى المحيط واكتشاف جزره وبلدانه. (ثمة شواهد عديدة على وصولهم إلى جزر المحيط وبعض سواحل أمريكا الجنوبية).

(٧) هذه الأسباب دفعت القرطاجيين إلى اختيار حنون على رأس حملة بحرية لاستكشاف ساحل أفريقيا الغربي واستطلاعه واستيطانه، وكان حنون خال ملامفُس ملك قرطاج المقرب منه، في رواية النسخة التي ترجمها سيمونيدس، كما ذكرنا. ولا يفصل هذه الرحلة زمن طويل عن سابقتها حيث يُروى أن ملك مصر الفارسي عاقب «ابن شقيقه ساتَسبِس Sataspes (حوالي العام ٤٧٠ق.م.) بالدوران حول ليبيا (أفريقيا)، ويقال إنه تجاوز أعمدة هرقل وواصل الإبحار جنوبًا بمحاذاة الشاطئ حتى وصل إلى بلد يسكنه قوم قصار القامة يكتسون سعف النخيل ويسكنون القرى، وربما كان هؤلاء من شعب البيغمي». وهنا يتساءل كي-زيربو: «هل قابلهم ساتسبس فعلًا؟ أم أنه نسج رواية حول موضوع كان معروفًا بشكل غامض في تلك الفترة؟»[١] لا أحد يعلم، إلا أنه بعد ٤٥ سنة من هذه الرحلة المجهولة النتائج انطلقت رحلة حنون.

تصف الرحلة كيف تتبع القرطاجيون امتداد الساحل الأفريقي الغربي، وكانوا ثلاثين ألف قرطاجي وقرطاجية على ستين سفينة من ذوات الخمسين مجدافًا، محملة بالمؤن والضروريات. وقد يبدو الرقم ٣٠,٠٠٠ مبالغًا فيه، سمةَ المخطوطات والنصوص التاريخية القديمة، وبتدقيق عدد السفن وبحارتها وجنودها وتجارها ومجدفيها وغيرهم — إذ إن من بينهم أطفالًا أيضًا، كما سنرى — نجد أن كل سفينة حملت ٥٠٠ مهاجر على اختلاف الأعمال الموكلين بها، وكان منهم ٣٠٠٠ أو أكثر من المجدفين، وأتصور أن عددًا من المهاجرين كان من النساء، فهذه الرحلة لم تكن استطلاعيةً تنتهي عند محطاتها لتعود إلى قرطاج بملاحيها وركاب سفنها، بقدر ما كانت رحلة استيطانية توخت إعمار سواحل أفريقيا الغربية بسكان قرطاجيين، كما يبدو من هذا النص. إلا أن المبالغة — مع ذلك — قد تكون متعمدة لسبب ما.

وبعد تقديم سريع يصف مضمون المخطوط، يتحول الإخبار إلى صيغة المتكلم، والمخطوط في مجمله من قبيل اليوميات التي يدونها قباطنة السفن، وقد قرئت وقائع الرحلة بوصف المتكلم بصيغة الجمع هو حنون نفسه الذي يخبرنا أنه أبحر جنوبًا باتجاه الشاطئ الغربي بعد المرور بأعمدة هرقل، المعروفة جيدًا لدى الفينيقيين.

ومن هنا تبدأ روايته بمغادرة أسطوله البحرَ المتوسط واجتيازه الأعمدة، وبعد إبحار يومين جنوبًا يؤسس القرطاجيون أولى المدن: «وقد أسميناها ثمياتريون Thymiaterion»،

[١] تاريخ: ١٤٠.

ويختلف الحرف الأخير بين الميم والنون من نسخة إلى أخرى، وقد أشار كوري[٢] إلى أننا قد «نكتفي بملاحظة أن ثيمياتريوم أولى المستوطنات التي أسسها حنون في موقع قريب جدًّا، ربما هي تمامًا نفس المدينة التجارية موگادور Mogador»، معتمدًا في ذلك على أنها أولى المدن التي تم تأسيسها بعد أن غادر الأسطول أعمدة هرقل، وموگادور هو الاسم القديم لمدينة الصويرة الحالية على ساحل المحيط، لكننا إذا افترضنا أن القرطاجيين قد اتجهوا مباشرة من جبل طارق إلى السواحل الأفريقية فإن ذلك يعني أن ثمياتريون ليست سوى مدينة تمارة المغربية التي أخذ اسمها صيغة محلية وحافظ في الوقت نفسه على أصل تسميتها، ما لم تكن تماريس التي تقع جنوبها. وهكذا بالنسبة إلى المدينة الثانية سُلُويس التي تقع أيضًا على الساحل المغربي، ويقول عنها كوري:[٣] «إن نتوء سُلُويس Soloeis يتوافق مع رأس بوجادور Cape Bojador المقابل تقريبًا للكناري.»[٤]

وهنا ملاحظة يجدر بنا ذكرها، وهي أن النسخ تختلف بعد ذلك في اسم المدينة التالية، ففي بعضها (كالتي ترجمها سيمونيدس) هي «كريكون» Karikon، وفي بعضها الآخر (كما في ترجمة كوري) هي «كريكونتخوس» Caricontichos، والصواب بالطبع هو كريكون، لأن الاسم الثاني جمع خطًّا بين مدينتين هما مدينة كريكون Caricon هذه

---

[٢] شذرات: xxii.

[٣] شذرات: xxiii.

[٤] ملاحظة: أول وصول مدون إلى جزر الخالدات (الكناري) كان على يد بحارة قادش حوالي ٨٠ق.م. كما زارها الملك جوبا الثاني حوالي ٢٥ق.م، ونعتقد أن القرطاجيين قد وصلوا إليها قبل ذلك بزمن طويل، بعد اجتيازهم جبل طارق، ربما مع رحلة حنون جنوبًا، ورحلة ميلكو شمالًا، وربما قبل ذلك، وقد عثر في هذه الجزر على لُقى فينيقية ما زال بعضها — حتى الآن — في متحف لاس بالماس، ولكننا نفتقد أي نص تاريخي يشير إلى الزيارات الفينيقية. وقد أكد الباحثون وجود صلة قوية بين اللغة الأمازيغية ولغة السكان الأصليين المعروفين باسم الغوانش (أو أشناش Achnach بلسانهم) الذين تعرضوا لحملات إبادة عرقية على يد الإسبان مع بداية تطهير إيبيريا من وجود العرب المسلمين. وفي معتقد الغوانش الشعبي فإنهم يرددون ما يعرفونه عن تاريخهم القديم بشكل أشبه بالخرافة التي كانوا يروونها، قائلين إن أسلافهم وصلوا إلى هذه الجزر، وكان عددهم ستين بين رجل وامرأة، وإنهم جاءوا من سواحل أفريقيا إلى الكناري، دون أن يعرفوا كيف ولا بأي وسيلة. ما يثير الانتباه في أسطورة التأسيس هذه هو الرقم ستين (٦٠) الذي أرى أنه ذكرى مشوشة عن السفن الستين التي كانت في رحلة حنون. فهل عرجت الرحلة على جزر الكناري؟ أم أن هؤلاء الغوانش كانوا في رحلة أخرى تالية توجهت إلى المدن الليبوفينيقية أو واحدة منها؟!

ومدينة تِخوس Tichos. ويرى كوري (شذرات: xxiii) أن: «كريكون Caricon وتخوس Tichos (في الأصل المنشور Caricontichos) وغيته Gytte، وأكرا (أو عكرا) Acra، وموليته Melitta، وأرَمْبِس Arambys تقع بين رأس بوجادور Cape Bojador ووادي الذهب Rio d'Ouro الذي يُفترض أن يكون لِكْسُسْ Lixus». ولا مجال بالطبع لجعل العرائش (شمال المغرب) تتوافق مع نهر لِكْسُسْ، بالرغم من أنها معروفة بهذا الاسم، أي «ليكسوس»، ذلك أن الرحلة تجعل بين هذا النهر وبين ثمياتريون خمس مدن بالإضافة إلى موقع آخر أقام عليه حنون معبدًا لبوسيدون، كما أن الاسم السائد للمدينة هو ليكش القريب من ليكسوس، وقد تأسست عام ١١١٠ق.م. يضيف كوري: «إن قِرْنة Cerne تقع بالقرب من جزيرة أرگوين Arguin جنوب الرأس الأبيض Cape Blanco»، وهو احتمال على قدر كبير من الدقة، إلا أن الاحتمال الأكثر دقة هو أن تكون قرنة هي هرنة Herne التي تقع شمال أرگوين، ولكن هرنة وأرگوين يقعان على أطراف الصحراء حيث تنعدم إمكانية التبادل التجاري والمقايضة، وحيث لا مصدر للماء ولا أرض صالحة للزراعة، ما لم يكن الوضع آنذاك غير ما هو معروف بيئيًّا الآن. يضيف كوري: إن «نهر كريتس Chretes ربما يكون سان جون St. John». ويكون «النهر الكبير المشار إليه بعد ذلك هو نهر السنغال»، أما «رأس بالماس Cape Palmas ورأس النقاط الثلاث Cape Three Points فمن المرجح أنهما يتوافقان مع القرن الغربي والقرن الجنوبي»، كما يسميهما نص الرحلة، و«تتوافق جزيرة ما في خليج بنين Benin مع جزيرة الغوريلا». ويقول (شذرات: xxiii) إن هناك من يفترض أن القرن الغربي هو الرأس الأخضر Cape Verd، وأن القرن الجنوبي هو رأس بالماس Cape Palmas، وفي هذه الحالة تكون سيراليون Sierra Leone هي عربة الآلهة Ochema Theon أو The Chariot of the Gods، بينما يشير وصف المكتهفين Troglodytae إلى الانتقال من المغاربة أو الموريين Moresco إلى العرق الزنجي Negro race. أي بعد الساحل الصحراوي الذي يمتد على المحيط من نهاية سلسلة الأطلس وينتهي بالرأس الأبيض (انظر الخريطة).

يرى كي-زيربو «أن بعض من قبلوا هذه الرواية بحرفيتها انبرى تفسير جميع تفصيلاتها، فتعرفوا مثلًا على السنغال الحالي في نهر بامبوتوم، وعلى جبال كاكوليما في غينيا، أو على بركان الكاميرون، في الجبال المذكورة في النص».[٥] و«جبل عربة الآلهة هو

[٥] تاريخ: ١٤٢.

بلا شك الجبل المقابل (يعني باتجاه الجنوب) لسلسلة جبال الأطلس».[٦] «وقد اكتُشفت في لِكْسُس (العرائش) وشيلا (سلا الحالية، وبالقرب منها قلعة شالا في الرباط) وجزيرة موگادور التي ربما كانت هي نفسها جزيرة قِرنة التي يتكلم عنها الكتاب الأقدمون قطع نقدية وفخاريات فينيقية، مما يدل على وجود تبادل تجاري مهم مع البربر أو بقايا الزنوج الذين كانوا يعيشون على ساحل البحر». لكن الكثير من الباحثين «يعتقدون أن أولئك الملاحين الأوائل لم يتمكنوا من التغلب على التيارات البحرية البالغة العنف وعلى الرياح التي تهب طيلة العام من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي في المنطقة الواقعة بين الرأس الأبيض والرأس الأخضر، ولم يتمكنوا بالتالي من تجاوز رأس جوبي، ويعتقد البعض أنه حتى فيما لو تمكنت حملة حنون من الوصول إلى خليج غينيا فإنه ما كان بمقدورها أن تعود إلى قواعدها في المتوسط عبر طريق المغرب». ويضع كي-زيربو قراءه بعد ذلك أمام تساؤل لا إجابة عنه، أو هو ربما امتداد للحيرة التي تتركها محاولة تحديد جغرافيا الرحلة: «ألا يكون الجزء الذي يعقب الحديث عن إقامة المستعمرات على الساحل المغربي من هذه الرواية مجرد تلاعب أو نوعًا من التخريفات الجزئية؟ لغز حقيقي حقًّا!»[٧]

إن الأسماء التي أطلقها حنون على المدن الجديدة تتوافق مع أسماء المدن الفينيقية التي انتشرت من شرق المتوسط إلى إيبيريا، فمدينة قرنة Cerne أو Kerne يتكرر اسمها بأكثر من صيغة، كما في قورينا،[٨] وأكرا (أو عكرا) Akra, Acra التي تعني الحد أو

---

[٦] تاريخ: ١٤٣.

[٧] تاريخ: ١٤٢.

[٨] سيطر الفينيقيون على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط من قورينا شرقًا إلى جبل طارق غربًا، ونستطيع العودة باسم قورينا إلى أصل فينيقي، بالرغم من أن الرواية السائدة تقول إن قورينا تم توطنها وإطلاق اسمها هذا بعد أن قامت مجموعة من المهاجرين الإغريق بالنزوح إلى الساحل الليبي من جزيرة Thera (سانتورين الحالية) عام ٦٣١ق.م. حيث أشار عليهم العرافون في معبد دلفي Delphi بأن يتوجهوا إلى ليبيا، فقادهم رجل من كريت سيتخذ بعد وصوله اسم باتوس Battus ويصبح حاكمًا بعد ذلك لأربعين سنة، ويبدو اسمه هذا ذا أصل شرقي، وربما كان يعود إلى اللغة الليبية التي كان الأهالي يتحدثونها آنذاك، وتقول أسطورة التوطن إنه كان قبل ذلك يُدعى أرسطوطاليس Aristoteles، وإنه كان مصابًا بالثأثأة التي لم يتخلص منها إلا عند قدومه إلى ليبيا. وقد نعتبر ما ورد في هذه الأسطورة إشارة إلى أن أصول باتوس هذا كانت فينيقية-كريتية، بدليل أنه لم يكن يحسن التحدث باليونانية كما يبدو. ولم

النهاية، وتعني الرأس بالاصطلاح الجغرافي، تتوافق مع أكثر من موقع بهذا الاسم، منها إبون أكرا Ippon Acra، وهي مستوطنة أو محطة تجارية تقع غرب طرابلس (رأس بن جواد الحالية)، وهبو أكرا في تونس (بنزرت)، وهو يذكرنا أيضًا باسم أكرا الغانية الحالية. كما إن اسم مليتة قد أطلقه الفينيقيون على الكثير من المدن الساحلية، كما في تونس وليبيا، ويعود اسم مالطا الحالية إلى مليتة الفينيقية، بل إننا نجد هذا الاسم في كل مكان وصل إليه الفينيقيون، مثلما في جزيرة إريترية مقابلة لمدينة عدوليس الساحلية جنوب البحر الأحمر، وهو يذكرنا برحلة الفينيقيين للطواف حول ليبيا (أفريقيا) في عهد الملك المصري نخاو بن بسَماتيك، أما كَريكون فنجد اسمها في كركوان بالقرب من رأس بون في تونس، واسم كريتس يتفق مع كرت أو قرت الفينيقي.

ونجد في نسخة سيمونيدس بعد ذكر تأسيس المدن (من كريكون إلى أرمبس)، وهو ما لا تذكره نسخة كوري: «فيها (أي في هذه المدن) أقمنا أربعة معابد. معبد لآمون Ammon في غيته، وأمونيا Ammonia (مزار مقدس ومعبد لآمون) في أكرا، ومعبد لخريسور Chrysor في مليتة، ومعبد لأثينا Athene ومعبد لبوليبول Polyboule في أرامبيس.»

ويرِد في نهاية النسختين كيف أن القرطاجيين وجدوا جزيرة مكتظة بكائنات وُصفت بالبربرية والتوحش، وكان الشعر يغطي أجسامهم، ولم يجدوا وسيلة للتخاطب معهم، فحاولوا صيد بعضهم، وقد نجحوا في أسر ثلاث من إناثهم، ولكنهن كن متوحشات وعدوانيات فأقدم البحارة على قتلهن، وحُملت جلودهن المُشعَرة إلى قرطاج. إن النص يطلق على هذه الكائنات كلمة Gorillae، أي: غوريلات. وهي الكلمة التي أطلقها الأوروبيون بدءًا من القرن التاسع عشر على هذا الجنس من القردة، وساد لديهم بعد رؤيتها للمرة الأولى القول بأنها «شعب الكائنات» التي اكتشفها حنون. وقد افترض كوري أن رجال

يستطع المهاجرون الإغريق البقاء في الساحل الليبي أكثر من سنتين لفشلهم في العثور على مكان مناسب لتأسيس مدينة جديدة فعادوا أدراجهم، ولكن وحي دلفي أمرهم بالعودة ثانية فعادوا وتوطنوا مكانًا يدعى أزيريس Aziris. وتقول الأسطورة إن الأهالي بعد ذلك أقاموا معبدًا لأبولو بالقرب من نبع يدعى كورا Kura أو كورانا Kurana ومنه جاء اسم قورينا Cyrene، والتحق بالمهاجرين الأول عدد آخر فطردوا القبائل الليبية واستولوا على أراضيها ومراعيها. وفي عهد آخر ملوك قورينا — الذي مات مغتالًا — نشأ نظام جمهوري عام ٤٤٠ق.م. تم فيه تعيين الحدود بين قورينا وقرطاج.

الغوريلا، وهي كلمة لا ترد في أي من اللغات، ولم تكن معروفة قبل رحلة حنون، قد يكونون من الأفارقة البدائيين بقدر ما يمكن الافتراض أن الفينيقيين إنما كانوا يعنون فعلًا القردة التي عرفت بعد ذلك بهذا الاسم. ويرى كي-زيربو «أنهم — ولابد — كانوا من شعب البيغميه، أو بالأحرى من قردة الشمبانزي»،[٩] معلقًا على هامش ذلك أن «الغوريلا لا وجود لها في غرب أفريقيا»!

أخيرًا ... ربما ارتاد حنون ورفاقه ألفين وستمائة ميل في هذه الرحلة، وقد تكون السفن الليبوفينيقية وصلت إلى ساحل السنغال، أو سيراليون، أو ربما زاروا غامبيا، أو غابون. وإن وصف البركان الذي يرِد في نص الرحلة قد يكون وصفًا لبركان جبل كاكوليما Kakulima في غينيا، أو لبركان آخر في جبال الكاميرون. ولا نعرف كيف سجل الفينيقيون وصولهم إلى خط الاستواء جنوبًا، كما لا نعرف على وجه الدقة ما إذا كان استيطان الفينيقيين هذه المحطات قد استمر فأسسوا مدنًا أخرى غاب عنا تاريخها ومسار أحداثها، أو أنه انتهى بإخلاء قرطاج من أولئك الثلاثين ألف مهاجر، كما أننا لا نعلم عدد الذين عادوا إلى قرطاج بعد ذلك، هل كانوا من المهاجرين، أم هم ملاحو السفن وقباطنتها ورئيس الرحلة فقط؟ لكننا نعرف من ناحية أخرى أن الفينيقيين لم يكونوا ليتركوا أخبار كشوفاتهم تلك عرضةً للسطو من قِبل الآخرين، الرومان على الأخص، وقد كان التنافس بينهم على أشُده بما يمكِّنهم من توسيع حدود الإمبراطورية وكسب المزيد من مناطق النفوذ واستغلال المصادر الزراعية لتنمية صادراتهم من الحبوب والكروم، والمصادر المنجمية لاستخلاص الذهب والفضة والنحاس والقصدير والحديد، لهذا السبب لا يبدو التوفيق — بدقةٍ بالغة — بين أسماء المدن الليبية الفينيقية الجديدة في جغرافيا الرواية وبين المواقع التاريخية أو القائمة الآن في الجغرافيا الواقعية أمرًا ممكنًا بشكلٍ نهائي. إن ما يجب القبول به — بشكلٍ عام — هو أن هذه الرحلة تُخفي حقًّا أكثر مما تُظهر فعلًا.

[٩] تاريخ: ١٤١.

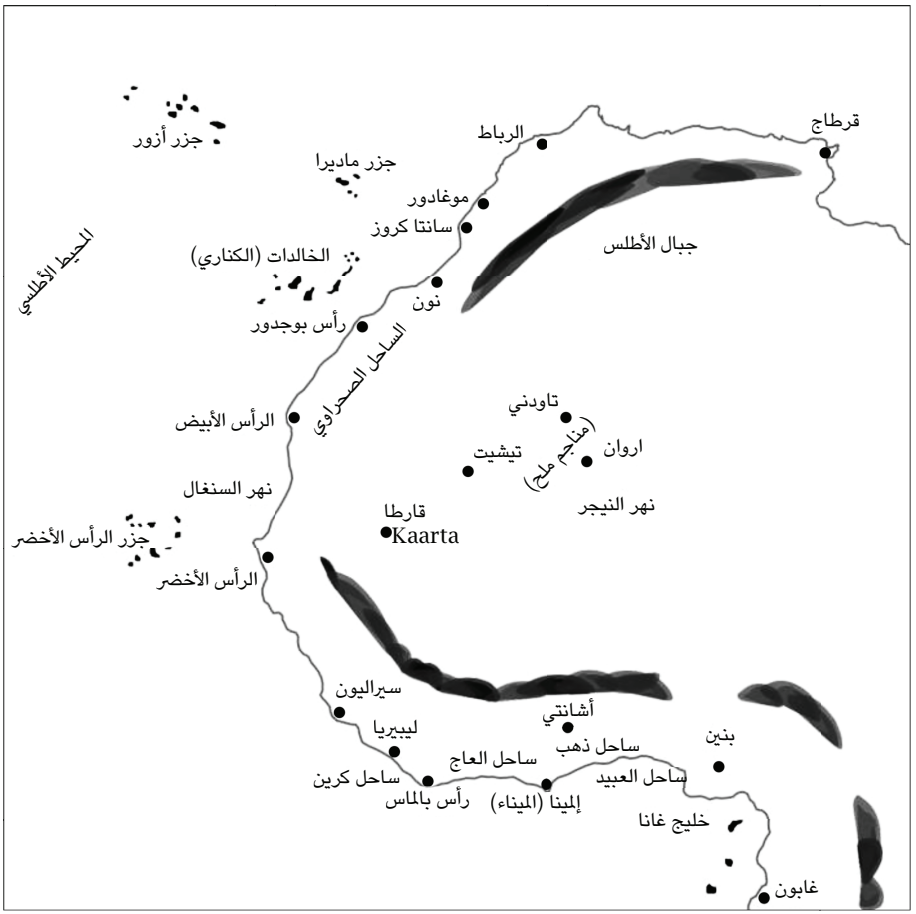

ساحل غرب أفريقيا (نقلًا عن خريطة الكونغرس عام ١٨٥٨م)

THE PERIPLUS OF HANNO.

ΆΝΝΩΝΟΣ

ΚΑΡΧΗΔΟΝΙΩΝ ΒΑΣΙΛΕΩΣ ΠΕΡΙΠΛΟΥΣ.

ΤΩΝ ὑπερ τας Ἡρακλειους στηλας Λιβυκων της γης μερων, ὡν και ανεθηκεν εν τῳ του Κρονου τεμενει, δηλουντα ταδε.

Εδοξεν Καρχηδονιοις, Ἄννωνα πλειν εξω στηλων Ἡρακλειων, και πολεις κτιζειν Λιβυφοινικων. και επλευσεν, πεντηκοντορους ἑξηκοντα αγων, και πληθος ανδρων και γυναικων, εις αριθμον μυριαδων τριων, και σιτα, και την αλλην παρασκευην.

Ὡς δ' αναχθεντες, τας στηλας παρημειψαμεν, και ἑξω πλουν δυων ἡμερων επλευσαμεν, εκτισαμεν πρωτην πολιν, ἡντινα ωνομασαμεν Θυμιατηριον· πεδιον δ' αυτῃ μεγα ὑπην· κατειτα προς ἑσπεραν αναχθεντες, επι Σολοεντα Λιβυων ακρωτηριον, λασιον δενδρεσι συνηλθομεν, ενθα Ποσειδω-

THE VOYAGE

OF HANNO, COMMANDER OF THE CARTHAGINIANS.

ROUND the parts of Libya beyond the Pillars of Hercules, which he deposited in the temple of Saturn.

It was decreed by the Carthaginians, that Hanno should undertake a voyage beyond the Pillars of Hercules, and found Libyphœnician cities. He sailed accordingly with sixty ships of fifty oars each, and a body of men and women to the number of thirty thousand, and provisions and other necessaries.

When we had passed the Pillars on our voyage, and had sailed beyond them for two days, we founded the first city which we named Thymiaterium. Below it lay an extensive plain. Proceeding thence towards the west, we came to Soloeis, a promontory of Libya, a place thickly covered with trees, where we erected a temple to Neptune; and again pro-

الصفحة الأولى من ترجمة كوري لرحلة حنون

بردية متحف ماير البريطاني التي اعتمدها كونستانتينوس سيمونيدس

الفصل الخامس

الطواف حول أرجاء ليبيا

(نص الرحلة)[١]

رحلة حنون، قائد[٢] القرطاجيين، حول أرجاء ليبيا، وراء أعمدة هرقل، التي وضعها في معبد ساتورن.[٣]

(١) قضى القرطاجيون أن يشرع حنون في رحلة وراء أعمدة هرقل، وأن يؤسس مدنًا ليبية فينيقية.[٤] وأبحر — وفقًا لذلك — بستِّين[٥] سفينة من ذوات الخمسين مجدافًا، وجماعات من الرجال والنساء، عددهم ثلاثون ألفًا. ومؤنٍ وضروريات[٦] أخرى.

(٢) عندما اجتزنا الأعمدة في رحلتنا، وأبحرنا وراءها ليومين، أنشأنا المدينة الأولى التي أسمَيناها ثمياتريوم،[٧] ويمتد دونها سهل واسع.

---

[١] نشير في الهوامش بالحرف (ك) إلى نسخة كوري، وبحرف (س) إلى نسخة سيموندس.

[٢] (س): ملك king، (ك): قائد commander.

[٣] (س): كرونوس Kronos، والمرجح أنه في النسخة الفينيقية: الإله القرطاجي بعل حمون.

[٤] في الأصل: Libyphœnician.

[٥] (س): ٦٧ سفينة.

[٦] (س): تجهيزات equipments، (ك): ضروريات necessaries.

[٧] Thymiaterium، وعند (س): Thymiaterion. ويضيف: وهنا أقمنا معبدًا لزيوس بويلوس على الربوة المجاورة wherein we erected a temple of Zeus Boulaeos on the neighbouring eminence. وأرى أن اسم المكان حاليًّا هو تمارة في الجزء الجنوبي من مدينة الرباط بالمغرب.

(٣) ومن ثم تقدمنا غربًا، وجئنا إلى سُلُويس.[٨] قُنة[٩] ليبيا، وهو مكانٌ تغطيه الأشجار بكثافة.

(٤) هناك[١٠] أقمنا معبدًا لنبتون.[١١] وتقدمنا شرقًا لمدة نصف يوم،[١٢] حتى وصلنا إلى بحيرة ليست بعيدة عن البحر، يملؤها دغل كبير من القصب. وهنا كانت تقتات الفيلة وعدد كبير من الوحوش البرية.

(٥) بعبورنا البحيرة، زهاء يوم من الإبحار، أنشأنا مدنًا قرب البحر، تسمى: كَريكون،[١٣] وتِخوس،[١٤] وغيته،[١٥] وأكرا (عكرا)،[١٦] وملِيتة،[١٧] وأرَامْبِس.[١٨]

(٦) ومن ثم جئنا إلى نهر لِكسوس[١٩] العظيم الذي يتدفق من ليبيا. وعلى ضفتيه كانت قبيلة من الرعاة اللكسيين[٢٠] ترعى قطعانها، وأمضينا معهم بعض الوقت في علاقةٍ ودية.[٢١]

---

[٨] Soloeis.

[٩] القُنة أو الرعْن promontory: نتوء منطقة جبلية أو امتداد صخري نافر يلامس البحر. وهي في الأصل: Promontory of Libya.

[١٠] (س): وبعد إقامتنا هناك لوقت قصير.

[١١] Neptune، وعند (س): بوسيدون Poseidon.

[١٢] (س): لمدة ثلاثة أيام ونصف.

[١٣] Caricon.

[١٤] Teichos. وقد وردت هذه المدينة والتي قبلها خطأً في شكل: Cariconticos.

[١٥] Gytte.

[١٦] Acra.

[١٧] Melitta.

[١٨] Arambys. يضيف (س) بعد ذلك: وفيها (أي هذه المدن) أقمنا أربعة معابد. معبد لآمون Ammon في غيتة، ومعبد لأمونيا Ammonia في أكرا، ومعبد لخريسور Chrysor في مليتة، ومعبد لأثينا Athene ومعبد لبوليبول Polyboule في أرامبس.

[١٩] Lixus. وعند (س): ليكسياس Lixias.

[٢٠] Lixitee. وعند (س): Lixiat.

[٢١] يضيف (س): وقدمنا الأضاحي للإله آمون.

(٧) وراء اللكسيين يقطن الأثيوبيون[٢٢] غير المضيافين الذين ينتجعون أرضًا برية[٢٣] تتقاطع فيها جبال كبيرة، يقولون إن نهر لكسوس ينبع منها.[٢٤] في جوار الجبال يعيش المكتهفون،[٢٥] رجالٌ بمظاهر متعددة الأشكال، وقد وصفهم اللكسيون بأنهم يجرون أسرع من الخيول.

(٨) وبعد أن تدبرنا بمشقة مترجمين منهم، واصلنا إبحارنا جنوبًا بمحاذاة الصحراء طوال يومين. وتقدمنا — من ثم — شرقًا لبقية اليوم، فوجدنا في تجويف خليجٍ ما جزيرة صغيرة تضم دائرة من خمس غلوات،[٢٦] وهناك أقمنا مستوطنةً دعوناها قِرنة.[٢٧] وقدرنا — من رحلتنا — أن هذا المكان (أي موقع الجزيرة) يقع على خط مستقيم مع قرطاج، ذلك أن مسافة رحلتنا من قرطاج إلى الأعمدة تعادل المسافة من الأعمدة إلى قرنة.

(٩) جئنا — بعد ذلك — إلى بحيرة وصلنا إليها بالإبحار في نهر واسع يُدعى كريتس،[٢٨] ولهذه البحيرة ثلاث جزر أكبر من قِرنة. وبإبحارنا يومًا آخر فيها وصلنا إلى طرفها الذي كانت تتدلى عليه جبال كبيرة يقطنها أناس متوحشون يرتدون جلود الحيوانات البرية، وقد أبعدونا برمْي الحجارة، ولم يسمحوا لنا بالنزول إلى البر.

---

[٢٢] Ethiopians.

[٢٣] يضيف (س): تعج بالوحوش البرية.

[٢٤] يضيف (س): جميع هؤلاء، خاصةً الذين يدعون آمونيين Ammonians يعبدون الإله آمون الذي يدعونه بلسانهم آماخا Ammacha.

[٢٥] أي سكان الكهوف Troglodytee ويذكرنا وصف عدو المكتهفين السريع بما كتبه هيرودوت في وصف المكتهفين الذين يعيشون جنوب ليبيا عندما كان الغرمنت يطاردونهم بالخيول، قائلًا إن سرعتهم تفوق الوصف.

[٢٦] غلوات (Stadia) جمع غلوة (Stadium): وحدة طول رومانية (= ٦٠٦,٩٥ من الأقدام). أصلها الغِلاء: السهم الذي يقدر به مدى الأميال والفراسخ.

[٢٧] Cerne. تضيف نسخة (س): من ابنتي قِرنة Kerne (أي ابنة حنون) التي كانت أول من يهبط من سفينة الخمسين مجدافًا.

[٢٨] Chretes. تضيف نسخة (س) بعد ذلك: هنا مات خالي كريميتس Chremetes بسبب مرضه، ودفنَّاه بجانب النهر، وأقمنا ضريحًا تبجيلًا له، وبسبب ذلك رأينا أن نهر كريتس يجب أن يُدعى كريميتس.

(١٠) وبالإبحار — من ثم — جئنا إلى نهر آخر متسعٍ وكبير، تملؤه التماسيح وأفراس النهر،[٢٩] ومنه عدنا حتى وصلنا إلى قِرنة ثانيةً.

(١١) ومن ثم أبحرنا جنوبًا لاثني عشر يومًا،[٣٠] بمحاذاة الساحل الذي يقطنه أثيوبيون لم ينتظروا اقترابنا وفروا من أمامنا. ولم تكن لغتهم مفهومةً، حتى بالنسبة للكسيين الذين كانوا معنا.

(١٢) وفي اليوم الأخير وصلنا جبالًا كبيرة مغطاة بأشجارٍ ملونة أخشابها ذكية الرائحة.

(١٣) وبالإبحار بمحاذاة هذه الجبال ليومين جئنا إلى ثغر واسع على ساحل البحر، وعلى جوانبه سهلٌ رأينا النار تنبعث منه ليلًا بشكل متقطع في كل الاتجاهات، متوهجةً أو خافتة.

(١٤) تزودنا بالماء من ذلك المكان وأبحرنا إلى الأمام لخمسة أيام[٣١] بالقرب من الساحل، حتى جئنا إلى خليج كبير أخبرنا المترجمون أن اسمه «القرن الغربي»،[٣٢] وكانت فيه جزيرة كبيرة، وفي الجزيرة كانت بحيرة من الماء المالح، كما كانت فيه جزيرة ثانية، وعندما نزلنا إلى البر لم نجد فيها — بعد يوم كامل من البحث — إلا الأشجار، ولكن في الليل رأينا مشاعل نارٍ، وسمعنا أصوات مزامير وقرع صنوج وطبول وصيحات فزِعة، وقد أصابنا الفزع، فأمرنا عرافونا بمغادرة الجزيرة.

(١٥) أسرعنا بالإبحار، ومررنا ببلد كانت تشتعل فيها النيران، وتتصاعد منها روائح العطور، وتخرج منها دفقات من النار تسقط في البحر، وكان يتعذر علينا اجتياز هذه الأرض بسبب الحرارة.

(١٦) أبحرنا على عجل — وقد اشتد فزعنا — وبمرور أربعة أيام اكتشفنا في الليل أرضًا تنتشر فيها النيران، وكانت نارٌ في وسطها أكثر علوًّا وأكبر من البقية، وقد بدت

---

[٢٩] تضيف نسخة (س) بعد ذلك: هنا قتل تمساحٌ البحارَ أسترايوس Astraeos، وبسبب ذلك أخذ النهر اسمه.

[٣٠] نسخة (س): باتجاه الجنوب.

[٣١] نسخة (س) لا تحدد عدد الأيام.

[٣٢] Western horn. في نسخة (س): قرن الغرب the Horn of the West، اليونانية: Hesperou Keras.

كأنها تلامس النجوم. وعندما أتى النهار اكتشفنا أنها كانت هضبة كبيرة تدعى «عربة الآلهة».[٣٣]

(١٧) في اليوم الثالث من مغادرتنا ذلك المكان، وبإبحارنا بالقرب من لفحات النار تلك، وصلنا إلى خليج يدعى «القرن الجنوبي».[٣٤]

(١٨) في عمق الخليج كانت جزيرة كالجزيرة السابقة، وكانت فيها بحيرة، وفي هذه البحيرة جزيرة أخرى يملؤها المتوحشون الذين كان أغلبهم من النساء، وكانت أجسادهم مُشْعَرة (يغطيها الشعر)، وقد أطلق عليهم مترجمونا اسم: «غوريلا».[٣٥] وطاردنا الرجال فلم نستطع أسر أي منهم؛ إذ أفلتوا منا جميعًا وهم يقفزون على الجُروف، ويدافعون عن أنفسهم بالحجارة، فأخذنا ثلاث نساء، ولكنهن هاجمن آسريهن بأيديهن وأسنانهن، ولم نستطع السيطرة عليهن، وقد رفضن مرافقتنا، وبقتلهن أخذنا جلودهن معنا إلى قرطاج. لم نبحر أبعدَ من ذلك، فمئونتنا كادت تنفد.

(تذييل نسخة سيمونيدس)

(١٩) كرشيدون[٣٦] الفينيقي، ابن مَرْدَنُسْ،[٣٧] أسس كرشيدون وحكمها لأكثر من ثلاثين سنة. وكان له ابن من زوجته ثَرَّة[٣٨] اسمه أرَّاشُون،[٣٩] خلَفَ أباه على العرش، وحكم سبع سنوات، وعند موته دون وريثٍ آلت المملكة إلى ابن أخيه حنون،[٤٠] وكان ابنه يسمى فَغِثون،[٤١] وله سلم المملكة عند موته، وقد حكم سبعين سنة، وحكم ابنه

---

[٣٣] نسخة (س): the Chariot of the Gods، اليونانية: Theon Ochema.

[٣٤] (ك): Southern horn. في نسخة (س): قرن الجنوب the Horn of the South، اليونانية: Notou Keras.

[٣٥] (ك): Gorillae. (س): Gorillas.

[٣٦] كرشيدون karchedon هو اسم قرطاج الذي يرد في نسخة (س).

[٣٧] Mardanos.

[٣٨] Tharrah.

[٣٩] Arrachon.

[٤٠] Hannon.

[٤١] Phagethon.

ثلاث وخمسين سنة، وعندما خلفه مِلَمْبُسْ،[٤٢] ابن الأخير، أزاحه القدر دون وريث له، فاستولى خاله حنون[٤٣] على المملكة، وحكم الكرشيدونيين (القرطاجيين) ستين سنة، وهو الذي أسس — قبل حكمه — المدن الليبية الفينيقية[٤٤] وراء أعمدة هرقل، كما يظهر من (نص) طوافه الذي نقشه باللغة الفينيقية على حجر أودعه معبد كرونوس، حامي المدينة، والذي قرأه بُولِكْلِتوس القوريني،[٤٥] ابن مِلِكِرْيوس،[٤٦] فترجمه إلى اللغة اليونانية أولًا، ثم نشره بين اليونانيين في الوقت الذي وُلد فيه الإسكندر بن فيليب.[٤٧] وبعد حصول إيفاغريوس بن إيفاغريوس[٤٨] على نسخة منها، دوَّن ثلاث نسخ أخرى من أجل إبِماخوس بن أرِسطَغوراس،[٤٩] أرخون[٥٠] الإسكندرية، وأهداه إياها عرفانًا بجميله، في السنة الثالثة من الأولمبياد الثاني والثمانين بعد المائة.[٥١]

---

٤٢ Melampus.

٤٣ Hannon.

٤٤ Lybiphœnician.

٤٥ Polykleitos of Kyren.

٤٦ Melikerios.

٤٧ Alexandros, the son of Philippos.

٤٨ Evagrios son of Evagrios.

٤٩ Epimachos son of Aristagoras.

٥٠ الأرخُون Archon هو الحاكم اليوناني للمقاطعة أو المدينة.

٥١ أي سنة ٥٠ قبل الميلاد.

معجم البلدان الليبوفينيقية

أبدير Abdeer: مستوطنة قرطاجية على ساحل إيبيريا الجنوبي. أدرا Adra الحالية.

أبرو (نهر) Ebro River: نهر في وسط إيبيريا شمالًا. وقَّعت قرطاج مع روما عام ٢٢٦ق.م. معاهدة يكون هذا النهر بموجبها حدًّا نهائيًّا للنفوذ القرطاجي في الشمال.

أبروتونوم Ebrotonom: لم يتم تحديد هذا الموقع ربما كان في تاجوراء أو قصر جفارة أو زواغة. ذكرت هـ. س. كاوبر في رحلتها (مرتفع إلاهات الجمال): «إن سكالاكس يقول إنها على مسافة إبحار يومين عن لبدة الكبرى، ولكن بطليموس حدد ذلك الموقع إلى الغرب من أويا (طرابلس)، بينما قال بليني إنه إلى الشرق من تافرا أو غرافارا التي تُعرف عامة بأنها قصر جفارة الحالية، وأبروتونيوم تشخص اليوم عمومًا بزواغة الواقعة مسافة ستين ميلًا إلى الغرب من طرابلس.»

أبون أكرا Ippon Akra: مستوطنة ووكالة تجارية فينيقية، اسمها الحالي رأس بن جواد، غرب طرابلس الغرب.

أبيلا Abyla: الاسم الفينيقي لمدينة سبتة المقابلة لجبل طارق. كانت محطة مهمة أسسها التجار القرطاجيون في غرب البحر المتوسط.

أتروريا Etruria: قبل بروز روما قوةً إقليميةً صاعدةً في المتوسط، سيطر الإغريق على جنوب إيطاليا وجعلوه امتدادًا لحضارتهم، وكان الأتروريون يسيطرون على وسطها لأنه موطنهم القومي ومنشأ الحضارة الأترورية (الأتروسكية)، وما زالت المنطقة الواقعة بين نهري أرنو والتيبر تسمى حتى الآن توسكانيا Tuscany، كما سيطر الأتروريون على نهر بو Bo وساحل كمبانيا، وكانت أتروريا مؤهلة لأنْ تنافس وتبز الإغريق من خلال تحالف مدنها الاثنتا عشرة، فقد أنشأت مدنًا عديدة مثل كايري

Caere وتاركويني Tarquinii وفولكي Vulci، وكانت تعتمد على الزراعة والتجارة والتعدين وصياغة الذهب والفضة. ولا تنتمي اللغة الأترورية — كما خلفتها النقوش واللقى الأثرية — إلى اللغات الهندوأوروبية، وما زال أصل الشعب الأترووري مدار جدل كبير بين المتخصصين، ومن المأثور عن هيرودوت أنه يعود بأصولهم إلى آسيا الصغرى التي قدموا منها في القرن الخامس ق.م. ويبرز في مجال الدراسات الأترورية رأيٌ وجيه يثبت أصولهم الشرقية، كما يعود بكلماتهم إلى مقاربة أفروآسيوية، ويمكننا هنا فهم التحالف القرطاجي-الأترووري من هذا الجانب قبل أن تقوم روما الصاعدة بإخضاع أتروريا وتحويلها إلى إقليم روماني.

أُتيكا Utica: أقدم المستوطنات الفينيقية في شمال أفريقيا، وما زالت تُعرف بهذا الاسم في تونس إلى الآن، ويعني اسمها: عتيقة. تأسست عام ١١٠١ق.م. على مصب نهر مجردة. عثر فيها على لوحات نذرية وخواتم وجعارين وتمائم ومزهريات ملونة في مدفنين يعودان إلى ما بين القرنين الثامن والرابع ق.م.

إجلجلي Igilgili: مستوطنة قرطاجية في الجزائر. جيجلي الحالية.

أرسيلا Arsila: أو أرزيلا Arzila. هي مدينة لِكسوس المغربية، وقد تأسست قبل العصر الروماني، وكشفت تنقيباتها عن آثار تعود إلى القرن السابع-السادس ق.م. وتدل على أنها كانت مستوطنة كبيرة، وقد تم إظهار أسس جدرانها ومعبد ومدفنين، وعثر فيها على نقود ونقوش وأوانٍ فخارية. ورَدَت الإشارة إلى لكسوس واللكسيين Lixitae (وهم قوم من الرعاة المزارعين) في نص رحلة حنون.

أشولا Acholla: مدينة فينيقية على الساحل التونسي. يُنسب تأسيسها إلى مهاجرين فينيقيين قدموا عن طريق مالطا.

أفريقيا الرومانية Roman Africa: بعد تدمير قرطاج والسيطرة على نوميديا استطاعت روما إلحاق شمال أفريقيا بإمبراطوريتها. وأعلنت ولايات أفريقيا الرومانية ويحدها طبيعيًّا الصحراء الكبرى جنوبًا، وجبال الأطلس غربًا، والصحراء الليبية شرقًا، والبحر المتوسط شمالًا. وتتركز في النصف الغربي من ليبيا ومعظم تونس الحاليتين. محاطةً بقورينا الإغريقية شرقًا ونوميديا غربًا. وكانت أفريقيا بالنسبة للإمبراطورية الرومانية تنقسم إلى أربعة أقاليم كبرى: أفريقيا الرومانية، وأفريقيا النوميدية (أفريقيا الجديدة)، ومملكة جوبا الثاني (معظم الجزائر وجزء من المغرب

الحاليتين)، وموريتانيا (معظم المغرب وما يقع جنوبها حتى الصحراء)، أي ولايتا موريتانيا الشرقية وموريتانيا الغربية اللتان أسسهما كلوديوس.

وكانت تونس وطرابلس المنطقتان الأكثر كثافةً بالسكان على نحو لم تصل إليه أي مدينة أخرى، وقد بلغ تقدير الرومان المقيمين في ولايات أفريقيا الرومانية مائتي ألف مستوطن، وقيل إن أربعين في المائة من المتحدثين باللاتينية في العالم كانوا يقيمون في هذه الولايات. ولكن اللغة القرطاجية بقيت هي اللغة الشائعة بين سكان شمال أفريقيا بعد تبعيتها الرومانية، بينما كانت اللاتينية لغة رسمية للولايات. ولم يتغير الوضع سياسيًّا، وربما ديموغرافيًّا، إلا مع بداية الفتح الإسلامي لشمال أفريقيا.

أكرا Akra: مدينة أسسها حنون الثاني (الملك البحار) على ساحل أفريقيا الغربي. وتعني الحد أو النهاية، وتعني الرأس بالاصطلاح الجغرافي.

إكنوموس Ecnomus: موقع على ساحل صقلية الجنوبي التقى عنده الجيشان القرطاجي والروماني فدارت بينهما إحدى أكبر المعارك البحرية في التاريخ القديم. انتصر الرومان بقيادة رغولوس Regulus في هذه المعركة انتصارًا ساحقًا، وكانت تلك أول معاركهم البحرية فأخذتهم النشوة بالنصر وأقلعوا من توهم إلى الساحل الأفريقي فوجدوا أنفسهم محاطين بقوات قرطاجية تفوقهم عددًا، ونشبت الحرب بينهم فأسر رغولوس، قائدهم، وكاد الرومان يفنون عن آخرهم في هذه المعركة.

أمسا Amsa: مستوطنة قرطاجية صغيرة غرب مدينة مليلية (المغرب) ربما كانت وكالة تجارية للمقايضة الموسمية، أو نقطة مراقبة ساحلية. عثر فيها على أنقاض منازل وآنية فخارية تعود إلى القرن الثالث–الثاني ق.م.

أندلس Andalusia: جنوب إيبيريا، توطنه الفينيقيون وأسسوا فيه عدة مستوطنات ومعامل لاستخلاص المعادن، أمَّه القرطاجيون فواصلوا استخلاص المعادن وتصدير المواد الخام إلى معامل قرطاج وصور، وأنشَئوا قرطاج الجديدة أو قرطاجنة Nova Carthage.

أوسا Ausa: مستوطنة فينيقية في شمال أفريقيا أسسها إيتوبعل (٨٨٧–٨٥٦ق.م.)، ولم يحدد موقعها بعد.

أولبيا Olbia: مدينة في سردينيا احتلها القرطاجيون في القرنين الثالث والثاني ق.م. عثر فيها على مدفن يحتوي على صفوف من جرار حفظ الرماد.

أويا Oea: اسم طرابلس الغرب الفينيقي. أسسها فينيقيون في القرن السابع ق.م. قدموا إلى الساحل الليبي عن طريق صقلية واختلطوا بالسكان الأصليين، ولم تسجل الشواهد الأثرية والتاريخية وقوع أي نزاع بين الطرفين.

إيبيريا Iberia: شبه الجزيرة التي تضم الآن إسبانيا والبرتغال. عمل الفينيقيون على استكشاف سواحلها والتوغل في أراضيها قبل تأسيس قرطاج، وكانت السفن الفينيقية تتنقل باستمرار من صور وصيدا شرق المتوسط إلى ترشيش الإيبيرية.

إيبيزا Ibiza: جزيرة من جزر الباليار الإسباني استوطنها القرطاجيون ٦٥٤ق.م.

إيكوسيوم Icosium: مستوطنة قرطاجية نشأت على أنقاضها مدينة الجزائر الحالية، ويبدو أنها كانت مستقلة عن قرطاج، بدليل قطع النقود التي عُثر عليها في هذا الموقع وهي تحمل اسمها، وتعود إلى ما قبل العصر الروماني.

بالرمو (بانورما، بانورموس) Palermo (Panorma): الاسم الحالي لمدينة بانورموس، وهي مدينة فينيقية على ساحل صقلية الشمالي منذ القرن الثامن ق.م. ثم أصبحت ضمن النفوذ القرطاجي، إلى أن استعادها الرومان عام ٢٥٤ق.م في أثناء الحرب القرطاجية-الرومانية.

بنتليريا Pantelleria: جزيرة على بُعد ٧٠ كيلومترًا من الساحل التونسي، اسمها العربي قَوْصَرة، استوطنها الفينيقيون منذ القرن الثامن ق.م. وهي الآن من الأراضي الإيطالية.

بهار Behar: مستوطنة قرطاجية في المغرب، تعود آثارها إلى القرن السادس ق.م.

بوستة Busitta: مستوطنة قرطاجية قرب أويا (طرابلس الغرب)، عُثر فيها على مدفن يحتوي على جرار (أمفورات) يزينها رمز تانيت.

بونة Bone: من المستوطنات الفينيقية على ساحل تونسي. لا يُعرف تحديدًا زمن إنشائها.

بيثيا Pethia: مستوطنة قرطاجية في سردينيا.

تبسة Tipasa: مدينة فينيقية النشأة، عثر فيها على مدافن قُدِّر زمنها بالقرن الخامس ق.م. ومقابرها منحوتة في الصخر يعلوها رمز تانيت.

تبسوس Tapsos: مدينة فينيقية في تونس، حُدد موقعها برأس ديماس. عُثر فيها على مدفن يعود إلى القرن الرابع ق.م.

ترشيش Tarshish: مدينة إيبيرية على مصب نهر الوادي الكبير استوطنها الفينيقيون منذ القرن الثاني عشر ق.م. ثم استوطنها اليونانيون في القرن السابق ق.م. ثم حل بها القرطاجيون وطوروا بناءها ومعامل القصدير التي جعلت منها مدينة بالغة الأهمية في حوض المتوسط.

تمودا Tamouda: مستوطنة فينيقية بالقرب من طنجة (المغرب) أظهرت تنقيباتها بقايا أسوار وساحات وشوارع وأحياء تعود إلى القرنين الثاني والأول ق.م.

تونس Tunisia: أقام الفينيقيون منذ مطلع الألف الأول ق.م. وكالاتهم ومستوطناتهم في تونس، أي قبل تأسيس قرطاج، وتعتبر أتيكا (العتيقة) وسيرتا من أقدم هذه المستوطنات. وبعد ازدهار قرطاج توسع الوجود الفينيقي في تونس فشمل معظم الساحل خاصةً على الهضاب وبالقرب من الأنهار. ويرى البعض أن اسم تونس يعود إلى تانيت ربة الخصب والنماء.

دريبانوم Drepanum: مدينة في جزيرة صقلية على سفح جبل أريكس انتصر فيها القرطاجيون على الرومان عام ٢٣٩ق.م.

رأس بون Cape Bon: بنزرت الحالية، توطنها الفينيقيون منذ القرن الرابع ق.م.

ربة مدينة (رباط) Rabat Madina: مدينة في مالطا، قد يكون معنى اسمها: ربة المدينة، أو رباط المدينة، وهي تقوم على أنقاض مليتة الفينيقية، ويعتقد أن مالطا قد أخذت اسمها من الاسم القديم لهذه المدينة.

رشقون Rashgoun: مستوطنة فينيقية سبقت تأسيس قرطاج، تقع على الساحل الجزائري، وقد أسفرت حفرياتها عن مدفن يحتوي على مئات من المقابر وآنية ومصابيح ومجوهرات وتعاويذ ولوحات نذرية تعود إلى القرن السابع أو السادس ق.م.

روسادير Rusaddir: اسمها الحالي مليلية (المغرب). مستوطنة قرطاجية عُثر فيها على مدفن يحتوي على صفوف من جرار حفظ الرماد.

روش ملقرت Rosh Melqart: مستوطنة فينيقية على الساحل الجنوبي لجزيرة صقلية. بلاتاني الحالية.

سرتا (قِرتا) Cirta: مستوطنة قرطاجية تأسست باسم سريم بتيم، وعندما سيطر عليها النوميديون أطلقوا عليها اسم سرتا (أو قِرتا: القرية)، ثم احتلها الرومان ودُمرت عام

٣١١ بعد أن عمت الثورة أرجاءها. أعاد الإمبراطور قسطنطينوس بناءها، ومنه أخذت اسمها الحالي أي قسنطينة الجزائرية.

سردينيا Sardinia: جزيرة إلى الغرب من صقلية. أنشأ فيها الفينيقيون في القرن التاسع ق.م. مستوطنة تجارية ثم سيطرت عليها قرطاج، حاول الإغريق السيطرة عليها إلا أن القرطاجيين، بتحالفهم مع الأتروريين، تغلبوا عليهم عام ٥٣٥ق.م. واستمرت سيطرة قرطاج على هذه الجزيرة حتى بداية الحرب القرطاجية الرومانية منتصف القرن الثالث ق.م.

سكسي Sixi: مدينة في جنوب إيبيريا استوطنها القرطاجيون، أطلق العرب عليها اسم المنيقر.

سلاميس Salamis: عاصمة جزيرة قبرص القديمة. أسس فيها الفينيقيون مستوطنة ووكالة تجارية وكانوا متنقلين بينها وبين صور باستمرار.

سوسة Sousa: الاسم الحالي لمدينة حضرموت القرطاجية. وتقع في تونس. ازدهرت بعد القرن السادس ق.م. وعثر فيها على عدة لوحات نذرية.

سولسيس Sulicis: جزيرة في الجنوب الغربي من سردينيا، توطنها الفينيقيون ثم عهدوا بها إلى القرطاجيين. هي الآن سانت أنطونيو.

سولونتو Solunto: مدينة على الشاطئ الشمالي من صقلية. توطنها الفينيقيون منذ القرن الثامن ق.م. وهي بالقرب من بغيريا الحالية.

سيدي عبد السلام Sidi ‘bdassalam: مدينة مغربية على أنقاض مستوطنة قرطاجية تأسست في القرن الأول ق.م. عثر فيها على مدفن ولُقى أثرية، ويعود البعض بزمن إنشائها إلى القرن الخامس ق.م. ولا يُدرى اسمها القرطاجي.

صبراتة Sabrata: مدينة تقع غرب طرابلس، وهي إحدى المدن الثلاث في كلمة Tripolis الدالة على طرابلس. أسسها الفينيقيون، أسماها الإغريق أبروتونس Abrotones. تدل الآثار على وصول الفينيقيين إلى صبراتة منذ القرن الخامس ق.م.

صقلية Sicily: استوطن الفينيقيون هذه الجزيرة منذ نهاية الألف الثانية ق.م. وأنشَئوا فيها المدينة التي تقع على أنقاضها الآن مدينة سيلينونتي. وقد سيطر الإغريق بعد ذلك على الجزء الشرقي من جزيرة صقلية بزعامة سيراكوزا، بينما سيطر القرطاجيون على جزئها الغربي.

طرابلس Tripolis: يعني اسمها المدن الثلاث، أي أويا ولبدة وصبراتة، وكان الاسم يعني الإقليم الغربي من ليبيا الحديثة، ثم اقتصر على مدينة طرابلس المعروفة.

طنجة Taingis: عاصمة موريتانيا الغربية، تميزت بصلاتها التجارية مع المواقع القرطاجية في إيبيريا. كان من المعتقد أنها أُنشئت في العصر الروماني، إلا أن التنقيبات كشفت عن نقود تحمل اسمها على شكل: طنج، مما يدل على أنها كانت تتمتع بالاستقلال في عصر قرطاج.

غوانش Guanches: سكان جزر الخالدات (الكناري) الأصليين. تعود أصولهم إلى شمال أفريقيا، وتشير الدراسات إلى أنهم توطنوا تينيريف وبقية الجزر أثناء مواكبتهم الفينيقيين في القرن السادس ق.م.

قادش Gadesh: يعود استيطان الفينيقيين قادش إلى أواخر القرن الثاني عشر ق.م. أي قبل تأسيس واستيطان قرطاج بعدة قرون.

قِراوس (جزيرة) Cyrauis Island: جزيرة، روى هيرودوت في تاريخه العام (الكتاب الثالث) أن القرطاجيين هم مصدر خبرها، تقع إلى الشمال من موطن قبيلة الغِزانت Gyzantes، يبلغ طولها حوالي خمسة وعشرين ميلًا، ولكنها قليلة العرض، ويمكن الوصول إليها من البر سيرًا على الأقدام، كما أنها مليئة بأشجار الزيتون وشجيرات العنب. وفي هذه الجزيرة بحيرة يُستخرج منها القار.

قرطاج Carthage: تأسست قرطاج في٧٥٠ ق.م وفقًا لأقدم اللُّقى الفينيقية في محيطها، ولكن التاريخ الأكثر تداولًا يجعل نشأتها في ٨١٤ق.م، ويعادل الباحثون هذا التاريخ بنزول عليسة على الساحل التونسي، وهو تاريخ منقول عن المؤرخ تيماوس دون دليلٍ أثري يثبته، سوى ما تذكره المصادر الكلاسيكية من أنها تأسست قبل الأولمبياد الأول بثمانية وثلاثين عامًا، وقد أقيم الأولمبياد الأول عام ٧٧٦ق.م. بما يعادل التاريخ المذكور (أي ٨١٤). وربما يشير هذا التاريخ إلى مبدأ الاستيطان، دون تأسيس المدينة، حيث لم يتم العثور في هذه المنطقة على أثر فينيقي يعود إلى ما قبل ٧٥٠ق.م. وقد كان إنشاء مدينة أقرب إلى أن يكون طقسًا دينيًّا وسياسيًّا يقوم بتنفيذه ملك أو زعيم، ومن المعروف أن الرومان مثلًا كانوا يتبعون في ذلك خطوات محددة تعود إلى أصول أترورية وتبدأ بأن يُوثِق المؤسس ثورًا وبقرة يجرَّان محراثًا برونزيًّا يعين به الخط الذي يحد مكان التأسيس Pomoerium ويعتبر خطًّا مقدسًا، وفي حكاية

تأسيس قرطاج ما يشبه هذا الطقس، أو أن المؤسسين اتبعوا هذه الخطوات. وقد تحولت قرطاج إلى مدينة جديدة (يوحي بذلك اسمها الفينيقي: قرت حدشت) وحلت في دورها التجاري والاقتصادي محل أُتيكا وغيرها من المدن الممتدة على الساحل الجنوبي من البحر المتوسط. ويبدو أن أحد مصادر ثرائها الأساسية كانت ما تستخلصه من معادن من إيبيريا، وما تجلبه من ذهب وأحجار كريمة وعاج من أفريقيا، بالإضافة إلى غلالها ومنتوجاتها الزراعية، فاستطاعت بذلك أن تغزو أسواق حوض المتوسط، وأن تسيطر على جزره واحدة إثر الأخرى فتمكنت من الاستحواذ على جزر الباليار ومالطا وبانتيليريا وكورسيكا والجزء الغربي من صقلية، كما تحالفت مع أتروريا ضد روما (أدى هذا إلى تحالف الإغريق مع الرومان، وحوصر الأتروريون حتى تمكن الرومان من ضمان ولائهم)، وقد فرضت قرطاج على أسواق الجزر والمدن الخاضعة لها ضرائب ومكوس محددة، ولكنها دافعت عنها أيضًا بحكم تبعيتها لقرطاج التي تحولت شيئًا فشيئًا إلى إمبراطورية متوسطية. وكانت تجمع في السنة الواحدة من الضرائب ما قُدر بنحو ١٢٠٠٠ تالنت، أي أكثر مما كانت تجبيه أثينا بعشرين ضعفًا. كما استطاعت بسط نفوذها على ما يليها شرقًا حتى حدود قورينا، وقد أصبحت المدن الثلاث (صبراتة، أويا، لبدة) ضمن حدود الإمبراطورية القرطاجية في نهاية القرن الخامس وبداية القرن الرابع ق.م.

استطاعت قرطاج — بحكم دورها التجاري البحري الكبير — أن تؤسس أكبر ميناء في المتوسط، وكان مستديرًا محاطًا بأعمدة بلغ عددها ٤٤٠ عمودًا، كما كان متصلًا بالسوق المركزية المكتظة بالحوانيت والمتاجر، مزينًا بتماثيل ونصب فينيقية وإغريقية، وتؤدي شبكة الشوارع المحيطة به إلى دوائر قرطاج الحكومية. بينما كانت دور الإقامة والسكن تلي هذه الدوائر وكان بعضها يعلو بستة طوابق، وكانت في معظمها تشكل محيطًا على ربوة بيرصا التي يعلوها معبد أشمون. وكانت مدينة قرطاج بأسرها محاطة بسور من جهة البر يرتفع لخمس وأربعين قدمًا، ترتفع في زواياه أبراج المراقبة، وتؤدي بواباته الرئيسية إلى فضاءٍ يسع أربعة آلاف حصان وثلاثمائة فيل وعشرين ألف رجل. أما خارجه فكانت تنتشر المزارع والضياع المنظمة بحسب غلتها الزراعية وفواكهها، يليها الحظائر والمراعي.

ولا يبدو أن العلاقة التجارية والسياسية بين قرطاج وصور قد توقفت إلا بعد دخول الأشوريين إلى مدن فينيقيا، ومع انحسار النفوذ الفينيقي في حوض المتوسط

ازداد نفوذ قرطاج فازدهرت وتوسعت مستوطناتها مما أدى إلى نشوب الصراع بين اليونانيين والقرطاجيين الذين سعوا إلى أن يبسطوا سيطرتهم على صقلية والمدن الساحلية وما حولها، وقد خشيَت قرطاج أن يتقدم الإسكندر المقدوني إلى غرب شمال أفريقيا، إلا أنه تراجع بعد زيارة واحة سيوة التي عمَّده فيها الكهنة ابنًا للإله آمون، فأمِنت قرطاج غزو المقدونيين، وعادت من جديد لبسط سيطرتها على جزر المتوسط ومدنه الساحلية.

بعد دمار قرطاج لم يتبقَّ شيء مما كتبه المؤرخون القرطاجيون، لأن نصوصهم نُقلت، وقد تُرجم بعضها إلى اليونانية أو اللاتينية، ويذكر أن سالوست Sallust وجوبا Juba قد استعانا بها، إلا أننا لا نعرف شيئًا في الوقت الحالي عن المؤرخين القرطاجيين الذي صنفوا هذه الكتابات.

قيصرية Caesarea: المدينة الرئيسية في موريتانيا الشرقية، كانت تتميز بمينائها الدائب الحركة، ويقطنها أكثر من مائة ألف نسمة. أدخل عليها جوبا الثاني تحسينات على الطراز الهيليني، وكان مهتمًّا بالفنون والمعمار، وعاشت عصرها الذهبي في عهده.

كركر (قصر) Karkar Palace: موقع بالقرب من مصراتة (غرب ليبيا) سجل الرحالة في القرن التاسع عشر عثورهم فيه على أنصاب نُقشت عليها أشكال مختلفة من رمز تانيت.

كركس Carax: منطقة في ليبيا بين المستوطنات الإغريقية والقرطاجية، كانت أشبه بمنطقة التجارة الحرة، وفيها يقايض التجار النبيذ القرطاجي الطرابلسي بالسلفيوم الإغريقي القوريني.

كعام Cinpe: وادٍ قرب لبدة، عرف باسم نهر كنبس، كانت قبيلة مكاي تتوطن أو ترعى حوله. أنشأ فيه الفينيقيون صهاريج مياه عذبة، كانت مستخدمة طوال الفترة الرومانية. حاول ملك إسبرطة دفع المهاجرين إلى التوطن بقربه، ولم ينجح، حيث يروي هيرودوت أن ابن ملك إسبرطة، ويُسمى دوريوس، غضب بعد انتقال العرش إلى أخيه كليومينس، المختل، فجمع حوله الإسبرطيين واتجه إلى سواحل ليبيا فأسس مستوطنة تدعى نثابوليس (أي المدينة الجديدة) على نهر كِنِبس (وادي كعام) عام ٥١٤ق.م. ولكن قبيلة المكاي نجحت بمساعدة القرطاجيين في طرده بعد ثلاث سنوات.

لبدة Leptis: مدينة فينيقية الأصل، تقع شرق طرابلس، يعود تاريخها إلى بداية الألف الأولى ق.م. ثم توطنها الرومان. ورَد اسمها في بعض النقوش بصيغة لبقي Lbqy، وفي

صيغة أخرى: لبتي Lpti، ثم أخذوا الصيغة الرومانية: لِبْكِسْ Lepcis ثم أضافوا لها لفظ الكبرى Magna، وعُرفت باسم: لبدة الكبرى Leptis Magna، بسبب ازدهارها، وتمييزًا لها عن لبدة الصغرى، وهي مستوطنة فينيقية تقع بالقرب من قرطاج. ويعود اسم لبدة في بعض الآراء إلى اسم قبيلة لواتة القديمة، الذي يرِد أحيانًا بصيغة: لباتة. كما كانت قبيلة مكاي التي امتهنت الرعي والزراعة تعيش بالقرب من موقع لبدة. وكان أول إنزال القوات الرومانية على ساحل لبدة عام ١٠٦ق.م إلا أنها احتفظت بدستورها القرطاجي طوال العصر الروماني. نلاحظ أن الأعمدة الرخامية التي كانت تُقيم منشآت ومباني لبدة قد تم السطو عليها وتهريبها إلى الدول الأوروبية خلال القرون الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين، ومنها التي نُقلت إلى باريس في القرن الثامن عشر واستُعملت في بناء كنيسة سان جرمان دي بري (صحيفة The Nation، نيويورك، م ٢٧، العدد ٦٨٣، ١٨٧٨م)، والأعمدة التي أهداها باشا طرابلس وعددها ٣٧ عمودًا إلى ملك بريطانيا (كاوبر، مرتفعات. ص١٨٦)، والأعمدة التي نُقلت تباعًا إلى إيطاليا منذ بدء الاحتلال عام ١٩١١م.

لمطة Lamta: الاسم الحالي للبدة الصغرى Leptis Minor في تونس. كانت من المدن القرطاجية النشطة، وكانت تدعم خزانة قرطاج بحوالي ٣٦٥ وزنة. عُثر فيها على مقابر منحوتة في الصخر على الطريقة الفينيقية القديمة.

ليبيا Libya: لم تُعرف ليبيا بحدودها الحالية إلا بعد الاحتلال الإيطالي الذي بدأ عام ١٩١١م. أما أول نص ترِد فيه كلمة ليبيا فقد كان نصًّا مصريًّا قديمًا يدل على قبائل ريبو (ليبو) التي كانت تعيش إلى الغرب من وادي النيل، كما نجده في صيغة لوبيم في العهد القديم (التوراة) دلالةً على سلف من الأسلاف يراد به جد الليبيين، والأرجح أن هذا الاسم قد تم التعرف على دلالته المشوشة من خلال المصريين. إلا أننا نعثر على هذا الاسم في نقوش فينيقية عُثر عليها في طرابلس وتونس بصيغة: لوبي، ليبت، ويدل غالبًا على السكان الليبوفينيقيين، ولا يتضمن دلالة جغرافية. ومن الآراء المرجحة أن اسم لبدة كما ورد في النقوش الفينيقية، أي لبقي Libqy، يعود إلى نفس الجذر. أما في كتابات المؤرخين الإغريق، فقد جعل هيرودوت اسم ليبيا دلالةً على قارة من قارات العالم الثلاث: ليبيا، أوروبا، آسيا. ثم خُصصت للدلالة على شمال أفريقيا، واستخدمت الكلمة أيضًا للتعبير عن الجزء الذي استوطنه الإغريق من أفريقيا في القرن السابع ق.م. (قورينا وما حولها، غرب وادي النيل)، وقد استخدم فرجيل في ملحمته (إنياذة)

تعبير أرض ليبية وكلمة ليبيا بمعنى شمال أفريقيا، وفي العصر الروماني تقلصت حدود ليبيا لتعني قورينا ومنطقة نفوذها، بينما كان الرومان يسمون السكان الذين يعيشون غرب قورينا باسم أفري، ويسمون بلادهم: أفريقيا، وربما كان الأصل في هذه الكلمة اسم قبيلة أفري التي كانت تعيش آنذاك جنوب تونس الحالية. ومنذ القرن الأول الميلادي عاد اسم ليبيا عند الرومان ليعني قارة أفريقيا، إلا أن التمييز بين القارة وبين شمالها أصبح واضحًا لديهم، وأصبح العالم منذ أن كتب المؤرخ سالوست كتابه «الحروب اليوغرطية» مقسمًا إلى ثلاث قارات هي: أفريقيا، وأوروبا، وآسيا. ولم يعد لكلمة ليبيا معناها القاري الأول. وفي القرن السادس الميلادي أورد المؤرخ كوريبوس في كتابه «الحروب الليبية» اسم ليبيا ويعني به شمال أفريقيا، أو غرب وادي النيل، إلا أنه يستعمله أيضًا بالمعنى القديم نفسه أي القارة. وقد ظهر اسم ليبيا بصيغة أخرى هي: لوبيا، لدى المؤرخين العرب كابن عبد الحكم وخرداذبة بمعنى كورة من كور غرب مصر، وأحيانًا بدلالة مشوشة، لكنهم يتفقون جميعًا على أن لوبيا تقع غرب وادي النيل.

ليبيا وراء أعمدة هرقل Beyond the Pillars of Heracles: لم يشر هيرودوت في تاريخه إلى رحلة حنون حول الأرجاء الليبية، وراء أعمدة هرقل، إذ من الثابت أنه لم يطَّلع على الترجمة اليونانية من نص هذه الرحلة التي كُتبت في الأصل باللغة القرطاجية ووضعت في معبد بعل حمون، والأرجح أن هيرودوت مات بُعيد الرحلة مباشرةً، إلا أنه أشار في تاريخه (الكتاب الثالث) إلى أن القرطاجيين اعتادوا السفر إلى تلك الأرجاء، كما في هذه القصة: «يحدثنا القرطاجيون أنهم يتاجرون مع شعب يعيش في منطقة ليبية تقع وراء أعمدة هرقل، وهم عندما يصلون تلك البلاد يفرغون بضائعهم ويعرضونها عرضًا جميلًا على الشاطئ ثم يرجعون إلى سفنهم ويرفعون إشارة من الدخان. وعندما يرى الأهالي الدخان ينزلون إلى الشاطئ حيث يضعون كمية معينة من الذهب كبديل للبضائع ثم ينسحبون مبتعدين مسافة معينة عن الشاطئ. آنذاك يعود القرطاجيون إلى الشاطئ ليلقوا نظرة على الذهب، فإذا رأوا أنه ثمن معقول لبضائعهم حملوه وأقلعوا، أما إذا رأوا أنه أقل قيمةً من بضائعهم فإنهم يعودون إلى سفنهم ثانيةً، وينتظرون هناك، فيرجع الأهالي ويضيفون كمية جديدة إلى الذهب حتى يرضى القرطاجيون. والطرفان في هذه الحالة يتحليان بأمانة مطلقة، فالقرطاجيون لا يلمسون الذهب قبل أن يوافقوا على أنه مساوٍ في القيمة للبضائع التي عرضوها للبيع، والأهالي لا يلمسون البضائع إلا بعد أن يكون القرطاجيون قد حملوا الذهب وأقلعوا.»

مالطا Malta: استوطن الفينيقيون جزيرة مالطا وأسسوا فيها وكالاتهم التجارية ومراكز ترميم وإصلاح السفن منذ القرن الثامن ق.م. ويعود اسم مالطا إلى مليتة الكنعانية.

نوميديا Numedia: نشأت مملكة نوميديا بعد نشوء قرطاج. وقد حكمها مسينسا حوالي ستين سنة. تحالف مسينسا مع روما التي خاضت معركة زاما الفاصلة وأجبرت قرطاج المنهكة من هذه الحرب على القبول بشروطها، وكان من بين هذه الشروط تنازلها عن أقاليم نوميديا التي ألحقتها بقرطاج. وقد طمع مسينسا في أن يمد حدود مملكته إلى طرابلس، فتقدم بقواته إلى سهل جفارة، ولكن قرطاج استطاعت إعادة تكوين جيشها والدفاع عن المدن الثلاث، فقررت روما إرسال لجنة برئاسة عدو قرطاج اللدود وهو سيبيو لفضِّ النزاع، وقررت اللجنة أن تقوم قرطاج بالتنازل عن المدن الثلاث على أن تنال تعويضًا في المقابل، وهو ما لم تقبل به قرطاج، فعادت نوميديا إلى شن حرب لم تكن قرطاج المنهكة بسبب حربها مع الرومان مستعدة لها، ولكنها أُجبرت على الدفاع عن نفسها، الأمر الذي رأت فيه روما إخلالًا بالشرط الذي تعهدت به، وهو عدم الدخول في أي حرب إلا بعد إعلام روما بذلك وموافقتها، واتخذت روما ذلك ذريعة لشن حرب جديدة على قرطاج قضت عليها نهائيًّا. وبانتصارها على قرطاج استطاعت روما إخضاع نوميديا التي انتهت سياسيًّا بانتهاء قرطاج. ومات مسينسا عام ١٣٩ق.م. فقسم الرومان أقاليم نوميديا بين أبنائه، ولكن أحد أبنائه وهو مقيبا (أو مسيبا) تمكن فيما بعد من إعادة توحيد هذه الأقاليم للنهوض بنوميديا من جديد، لكنها عادت إلى الانقسام بعد موته بين ابنَيه وهما أذربعل وهمبسل وابن أخيه يوغرطا.

هبو أكرا Hippo Acra: من المستوطنات الفينيقية على ساحل تونس. لا يُعرف تحديدًا زمن إنشائها.

يول Jol: هي مستوطنة قرطاجية في الجزائر، عُثر فيها على آثار قليلة متأخرة الزمن.

مسرَد تاريخي

(تعود الأزمنة الواردة في هذا المسرد إلى ما قبل الميلاد)

١١٠٠: ظهور الكنعانيين على السواحل الأفريقية.

١١٠١: إنشاء مستوطنة أوتيكا على وادي مجردة.

٨٩٨: التجار الكنعانيون يكتشفون الموارد المعدنية في إيبيريا.

٨١٤: زمن الرواية التقليدية عن تأسيس عليسة مدينةَ قرطاج.

٧٥٠: الزمن المتوافق مع اللُّقى الفينيقية في قرطاج، ومن المرجح تاريخيًّا أنه زمن تأسيس المدينة على يد التجار الصوريين.

٦٥٤: القرطاجيون يستوطنون جزر الباليار، ويؤسسون إيبيزا Ibiza.

٦٥٠: القرطاجيون يتحالفون مع الأتروسكيين ضد أثينا.

٥٣٠: أسرة ماغون Magon تعتلي السلطة في قرطاج.

٤٨٠: القرطاجيون يحولون صقلية إلى قاعدة لأسطولهم التجاري.

٤٢٥: حنون الملك البحار يقوم برحلته إلى سواحل غرب أفريقيا.

٣٨٠: نشأة النظام الأوليغارشي.

٣٦٠: حنون الكبير Hannon the Great يثور ضد الأوليغارشية.

٢٤٨: هملكار برقة يغزو صقلية.

٢٤١: هزيمة الأسطول القرطاجي قرب صقلية التي تصبح ولاية رومانية.

٢٣٩: قرطاج تتنازل عن سردينيا وكورسيكا.

٢٣٦: هملكار يبدأ توسعًا استيطانيًّا في إيبيريا، يرافقه ابنه حنبعل.

٢١٩: الحرب البونية الثانية (تستمر ١٧ عامًا)، حنبعل يغزو إيطاليا.

٢١٨: حنبعل يعبر جبال الألب ويهزم الرومان في معركة تسينوس وتريبيا.

٢١٧: حنبعل يهزم الرومان في كاني.

٢٠٢: هزيمة قرطاج في معركة زاما أمام الجيش الرومان بقيادة سيبيو الأفريقي.

١٤٩: الحرب البونية الثالثة، وبعد ثلاثة أعوام يدمر الجنرال سيبيو الصغير مدينة قرطاج.

٣٥: إعادة إعمار قرطاج.

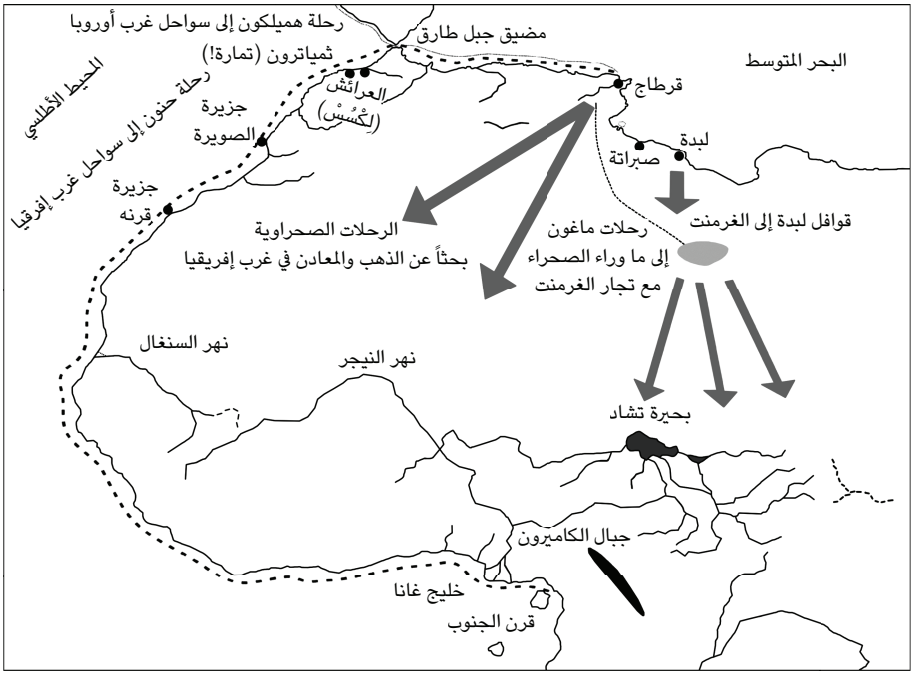

رحلة حنون إلى غرب إفريقيا

رحلة ماغون إلى وسط إفريقيا

رحلة هميلكون إلى غرب أوروبا

رحلة قرطاجية وليبية أخرى

مراجع ومصادر

- آليف، جون. الأفارقة: تاريخ قارة، سلسلة دراسات أفريقية (٧)، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، ٢٠٠١م.
- سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، العربي للنشر، بغداد، ١٩٧٥م.
- البرغوثي، عبد اللطيف. التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، دار صادر، بيروت، ١٩٧١م.
- دولي، دونالد. حضارة روما، ترجمة: جميل يواقين، فاروق فريد، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.
- عبودي، هنري. معجم الحضارات السامية، جروس برس، بيروت، ١٩٩١م.
- عيسى، محمد علي. الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم، دار الأصالة والمعاصرة، طرابلس، ٢٠٠٩م.
- كاوبر، هـ. س. مرتفع إلاهات الجمال، ترجمة: أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس، د. ت.
- كي-زيربو، جوزيف. تاريخ أفريقيا السوداء، دراسات أفريقية (١٠)، الدار الجماهيرية للنشر، طرابلس، ٢٠٠١م.
- المحجوب، عبد المنعم. الكتاب الأرجواني، تأملات في تاريخ قرطاج الثقافي، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٠م.
- المحجوب، عبد المنعم، معجم تانيت، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٤م.

- Cory, I. P., *The Ancient Fragments, Containing what remains of the writings of Sanchoniath, Berossus, Abydenus, Megasthenes, and Manetho,* William Pickering, London, 1828.
- Schoff, Wilfred H., *The Periplus of Hanno, a Voyage of Discovery Down the West African Coast*, the Commercial Museum, Philadelphia, 1913.
- Simonides, Konstantinos, *The Periplus of Hannon, King of the Karchedonians, Concerning the Libyan Parts of the Earth, Beyond the Pillars of Herakles, Which he Dedicated to Kronos, the Greatest God, and to All the Gods Dwelling with Him.* Trübner & Co., London, 1864.

هنـــداوي